جامعة المنوفية
كلية التربية
قسم أصول التربية

تاريخ التربية والتعليم

الجزء الأول

دكتور
جمال على الدهشان
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية - جامعة المنوفية

٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "

صدق الله العظيم

(سورة التوبة الآية ١٠٥)

– فصل تمهيدى –

التاريخ وتاريخ التربية والتعليم

مقدمة

- المقصود بالتاريخ .
- التاريخ علم أو فن أم أدب
- أهمية دراسة التاريخ ووظائفه
- منهج البحث التاريخى
- تاريخ التربية
- أساليب دراسة تاريخ التربية
- مصادر تاريخ التربية والتعليم
- أهمية دراسة تاريخ التربية والتعليم

مقدمة :

إن من الحقائق المسلم بها ، أن حاضر كل بلد إنما هو ثمرة نمو هذا البلد عبر عصوره التاريخية القريبة أو البعيدة ، والشكل الذى تبدو عليه مشكلة من المشكلات فى وضعها الراهن ، إنما هو النتيجة المنطقية لتطور هذه المشكلة منذ عهد قريب أو منذ عهود بعيدة ، ولذلك فإن سعى الإنسان لتحقيق التقدم الحضارى ورغبته فى العمل الجاد البناء لتحقيق مستقبل أكثر إشراقاً يتطلب منه أن يعود إلى الماضى وما فيه من قيم وعبر ، وأن يرجع إلى مبادئ الأولين ومعتقداتهم وجهودهم بما فيها من نجاح وفشل وإلى ما بذلته البشرية من محاولات حتى وصلت إلى ما هى عليه من علم ومعرفة وخبرة ومهارة ثم يقارن هذا بذاك ويقوم حال اليوم بما كان عليه بالأمس وما يتطلع إليه فى الغد ، وعن طريق هذا الجهد وبواسطة هذه المعرفة والمقارنة يستطيع أن يخط لنفسه طريقاً ويستطيع أن يقف على واجبه وحقه فيؤدى هذا ويتمسك بذلك .

فالإنسان بلا علم بالماضى ولا معرفة بالتاريخ وأحداثه يسير فى تيه واسع ليس به معالم تهديه ويسلك مسالك لا يعرف لها بداية أو نهاية، ويتصرف تصرفاً أشعث ليس له روابط أو ضوابط فتضيع جهوده هباء منثوراً . فلذلك حرص الإنسان منذ بداية ظهوره على وجه الأرض على الإهتمام بالماضى ومعرفة التاريخ .

والواقع أن بدايات الإهتمام بالماضى والتاريخ ترجع إلى بداية حياة الإنسان على الأرض فحينما أخذ الإنسان البدائى منذ بداية فجر المدنية

يقص على أبنائه قصص أسلافه ممتزجة بأساطيره ومعتقداته بدأ التاريخ يظهر إلى خبر الوجود فى صورة بدائية أولية ، وبدأ الإحساس به يتكون فى ذهن البشرية منذ أقدم العصور ، وتدرج التعبير عن التاريخ مختلطاً أولاً بعناصر من الفن كالرسم والنقش على الحجر ، وعندما سارت البشرية قدما فى مضمار الحضارة فى شتى أساليبها وصورها رويدً رويداً ، أخذ التاريخ يشكل أساساً جوهرياً فى تسجيل موكب البشرية الحافل الدؤوب باعتباره المرآه أو السجل أو الكتاب الشامل الذى يقدم لنا ألواناً من الأحداث وفنوناً من الأفكار وصنوفاً من الأعمال والآثار .

فالمعلومات التاريخية تجمعت بصورة تدريجية حين أراد الإنسان أن يركن إليها ويفيد منها فى حياته وأعماله ، حيث بدأ يستعيد من بين ذكرياته المتناثرة ما يصلح لأن يكون نموذجاً لأعماله التى ينوى القيام بها ، فالأصل فى التاريخ هو إدراك الإنسان لحقيقة وجوده الإجتماعى حين أخذ يكون أسرة يحرص عليها ويورث أبناءه تجاريبه من القصص التى يقصها عليهم مما غير من احداث حياته .

ولقد سبق التدوين التاريخى اهتداء الإنسان إلى الكتابة ، إذ عمل الإنسان الأول على أن يصور حياته ويسجلها فى تلك الصور التى حفرها على جدران كهفه البدائى ، ويسبق التاريخ مرحلة التدوين التاريخى بمراحل ، إذ أنه قديم قدم الحياة الإنسانية على الأرض فعلمنا بالتاريخ لا يصل إلا إلى عدة آلاف من السنين وهى عمر قصير إذا قيس بالحياة الإنسانية المديدة .

ما المقصود بالتاريخ ؟

يدل لفظ تاريخ على معان متفاوتة حيث يعتبر البعض أن التاريخ يشتمل على المعلومات التى يمكن معرفتها عن نشأة الكون كله بما يحويه من أجرام وكواكب ومن بينها الأرض وما جرى على سطحها من حوادث الإنسان ، ولذلك بدأ المؤرخون الأقدمون كتاباتهم بالكلام عن نشأة الأرض وما ظهر على سطحها من مظاهر الحياة المختلفة .

فى الغالب عندما نقول تاريخ ينصرف الذهن إلى التاريخ السياسى أو تاريخ القادة والحكام وبشىء من الاستحياء والتسامح نتحدث عن التاريخ الإجتماعى والإقتصادى والتربوى ولكن الحقيقة أن التاريخ لا يقتصر على التاريخ السياسى فقط ولكنه يعنى بكل أمور الحياة فى الماضى .

التاريخ لغوياً يعنى به وضع أو ترتيب الأشياء فى زمانها ومكانها الحقيقيين فالتاريخ والتأريخ والتوريخ فى اللغة العربية يعنى الإعلام بالوقت وقد يدل تاريخ الشىء على غايته ووقته الذى ينتهى إليه ومنه . ولذلك يقال أرخت الكتاب وورخته : أى بينت وقت كتابته ، فالتاريخ عن السخاوى هو التعريف بالوقت الذى تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة ، وصحة وحج وتوثيق ... وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم فى ابتدائهم وحالهم وما يلحق به حوادث وواقع جليلة . وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك

من أمور الأمم السابقة . أى أنه من يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت ، بل عما كان فى العالم.

وفى اللغه الإنجليزية History مأخوذ من الكلمة اللاتينية Historai . بمعنى البحث أو التعلم عن طريق البحث فهى مأخوذة عن الأغريق ومعناها أمرانا البحث العلمى والمعنى الثانى هو المعرفة بمعناها الواسع والشامل ، ولذلك فإن التاريخ عند الاغريق أصحابه كان علم العلوم أو علم المعرفة بمعناها الشامل والواسع ومع تخصص العلوم وسيادة مبدأ التخصص فى العلوم والاشتغال بالعلم انكمش معناه وأصبح معناه دراسة المسائل الإجتماعية (الفن - الأدب - الثقافة وغيرها) بل أنه ضاق مفهومه عند أصحابه واصبح مقتصراً على النواحى السياسية .

ويقصر أغلب المؤرخين معنى التاريخ على بحث واستقصاء حوادث الماضى التى وقعت منذ أقدم العصور واستمرت وتطورت فى الزمان والمكان حتى الوقت الحاضر .

فى ضوء ما سبق يمكن تعريف التاريخ بأنه قصة الماضى أو وصف أحداثه طالما أن هذه القصة تقوم على النقد والبحث فى الوثائق وما تركه الإنسان من آثار ومخلفات .. وغيرها من الوسائل التى تقبل درجة مقبولة من اليقين ، فموضوعه ماضى الجماعات الإنسانية نسجله على شكل حقائق بحيث تكون الصورة التى يضعها المؤرخ للجماعة والعصر صورة حقيقية على قدر الإمكان . والتاريخ يشكل جميع

جوانب الحياة فهو يشمل الناحية الإجتماعية والسياسية والإقتصادية وميدان الثقافة والفكر وميدان النظم والقانون وميدان الفن والمواصلات وميدان الصناعة والطب والفلسفة وميدان التربية والتعليم .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه إذا كان الهدف من دراسة التاريخ هو التوصل إلى الحقيقة التاريخية (حقيقة ما حدث فى الماضى) فإن المقصود ليس الوصول إلى الحقيقة المطلقة ، إذ أن هذا الأمر غير مستطاع لعوامل مختلفة مثل ضياع وانطماس الآثار ومثل الأغراض والمصالح ... وغيرها ، فالحقيقة التى يصل إليها المؤرخ هى حقيقة صحيحة نسبياً ، وكلما زادت نسبة الصدق فيها اقترب التاريخ من أن يصبح تاريخاً بالمعنى الصحيح فى حدود أمكانه .

وإذا كان التاريخ يعرف بأنه قصة حياة أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات إلا أن هذا لا يعنى أن كل قصة تاريخ ، فكثيراً من الناس لايفرقون بين التاريخ والقصة وخاصة أن كثيراً من القصص والروايات ذات طابع تاريخى وابطالها من الذين شكلوا التاريخ ، فالتاريخ يختلف فى جوانب متعددة عن غيره من فنون الكتابة فهو يختلف عن الرواية والقصة والتقارير الصحفية والسير الذاتية والمناقشات البرلمانية والمذكرات الدبلوماسية وتقارير الأحزاب والجمعيات المختلفة ... وغيرها فهذه العناصر ليست تاريخا ولكنها يمكن أن تكون مادة من مواده ودليل من أدلته .

التاريخ علم أم فن أم أدب :

حقيقة التاريخ أنه يتضمن كل هذه العناصر وغيرها فالتاريخ يمكن اعتباره علم وكذلك يمكن اعتباره فن كذلك يمكن اعتباره أدب فكتابة القصة التاريخية أدب وفن لأن من وسائلها الخيال وجمال الأسلوب ، فكتابة القصة التاريخية كتابة أدبية فنية ولكن موضوعها علمياً .

فالواقع أن العلماء والباحثين والمؤرخين اختلفوا حول وصف التاريخ بصفة العلم أو نفيها عنه ، حيث أكد البعض أن التاريخ لا يمكن أن يكون علماً لأنه يعجز عن اخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المعاينة والمشاهدة والاختبار والتجربة ، وبذلك لا يمكن فى دراسته استخلاص قوانين علمية يقينية ثابتة على نحو ما هو موجود بالنسبة لعلم الطبيعة وعلم الكيمياء مثلاً ، ومما يبعد التاريخ عن صفة العلم فى نظرهم قيام عنصر المصادفة ووجود عنصر الشخصية الإنسانية وحرية الإرادة مما يهدم الجهود الرامية إلى إقامة التاريخ على أسس علمية على نحو ما يفعل علماء الطبيعة أو الكيمياء مثلاً . كذلك يرى البعض الآخر أنه على الرغم من أننا لا يمكن أن نستخلص من دراسة التاريخ قوانين عامة ثابتة على غرار ما هو كائن فى العلوم الطبيعية ، فإن هذا لا يجوز أن يجرده من صفة العلم إذ يكفى فى إسناد صفة العلم إلى موضع ما ، أن يمض الباحث فى دراسته ، مع سعيه إلى توخى الحقيقة وأن يؤسس بحثه على حكم ناقد بعيد عن هوى النفس وعن كل افتراض سابق مع إمكان التصنيف والتبويب فيها .

والواقع أنه يمكن النظر إلى قضية هل التاريخ علم أم لا ؟ من خلال تناول النقاط التالية .

١- إن التاريخ نشاط فكرى والعلوم كلها تقوم على النشاط الفكرى وموضوعها رفاهية الإنسان ، فالعلوم كلها تقوم على أساس فائدتها للإنسان وقدرتها على خدمته ومساعدته على حل مشكلاته وهى مشكلات الصراع بينه وبين البيئة سواء أكانت هذه العلوم اجتماعية أم طبيعية والتاريخ (باعتباره أحد هذه العلوم) هدفه الأساس توضيح مشكلات الحاضر فى ضوء تطورها الماضى .

٢- أن التاريخ فى بناءه للقصة وفى دراسته للماضى لكشف الحاضر وتنويره ، يعتمد على التفكير المنطقى وهو العامل المشترك بين كل أنواع البحث العلمى ، فالتاريخ يكون علماً على قدر ما يتبع المؤرخ فى بحثه الطريقة المنطقية (تحدد المشكلة - فروض الفروض - جمع البيانات - التحقق من صحة الفروض - استخدام النتائج فى تفسير المشكلة وتوضيحها) ولكن لابد من التحوير والتعديل فيها (التركيز على بعض الخطوات أكثر من غيرها) بما يتناسب ومادة التاريخ . فالتاريخ ليس علم تجربة واختبار ولكنه علم نقد وتحقيق . والمؤرخون يتبعوا الطريقة العلمية المنطقية بطريقتين هما :

- أن المؤرخ يجمع أكبر قدر من الأدلة لكل حادثة أو مشكلة تاريخية وينظر فيها بموضوعية وعين مجردة مستنداً إلى كل الأدلة

الممكنة حتى يتمكن من التوصل إلى الحقيقة الصحيحة نسبياً وفى حدود إمكانياته .

- أن المؤرخ مهما يصل إلى نتائج يعتبرها مؤقتة كرجل العلم ، فى انتظار أن يجد ما يؤكدها أو ينفيها ، فهو لا يدعى أنه وصل إلى حقيقة يقينية أو نتيجة نهائية ، فالتاريخ علم من ناحية الطريقة مع إضافة عبارة على قدر ما تحتمل طبيعته ومادته والتى لا تخضع للتجريب المتبع فى العلوم الطبيعية .

٣- أنه مع اعترافنا بأن التاريخ علم فإنه يختلف عن غيره من العلوم الأخرى (الطبيعية) نظراً لاختلاف طبيعة كل منها ، (فالعلوم الطبيعية تبحث فى مادة ملموسة أمام الباحث ، بينما المؤرخ يبحث فى قضية ماضية لن تعود) وأهم جوانب هذا الاختلاف تتمثل فى الآتى :

- أن التجريب غير ممكن فى التاريخ ، لأن التاريخ يقوم على الملاحظات والتقارير وأحداث لا يمكن إعادتها ، فالتجريب بالرغم من أنه أساس فى العلوم الطبيعية غير ممكن فى التاريخ وإن كان التاريخ يمكن أن يعد وبحق المعمل الذى تختزن فيه آلاف التجارب السابقة التى يمكن أن نهتدى بما وصلت إليه من نتائج فى تكييف الحاضر ورسم المستقبل كما نحب ونرغب .

- إن المؤرخ فى قيامه بالملاحظة لا يستخدم الملاحظة المباشرة والمستخدمة فى العلوم الطبيعية . إذ أن الفرق هنا يكون فى أن المؤرخ لا يقوم بالملاحظة بنفسه ، وإنما يعتمد على ملاحظات الأخرين ، من كتاب الوثائق والمعاصرين ومعروف أن المؤرخ ليس فى يده ما يضمن له دقة الذين كتبوا فى الماضى وقت حدوث الأحداث وإنما يعوض الفرق فى الملاحظة بأن يكمل ملاحظته بعملية تحقيق دقيقة يعتمد فيها على مزيد من الوثائق ومزيد من العناية بالتحقيق والمقارنة بين ملاحظات أناس آخرين من مصادر مختلفة .

- التصور الكمى أو العددى عادة غير موجود فى التاريخ فليس ثمة وحدة قياس كمى أو رقمى تقيس الظواهر والعلاقات التاريخية ، لا وزن ، ولا قياس ولا كيلا للحجم ، الابعاد والأرقام تنتمى إلى عالم آخر من المعرفة لا يمر بالتاريخ إلا لماماً ، فعلى الرغم من أن استخدام التصوير الكمى أو الرقمى قد يوجد فى بعض الموضوعات التاريخية (الميزانية – المساحات – عدد السكان – الضرائب – عدد التلاميذ) ولكن كيف نعبر رقميا أو ابعاداً عن معركة عين جالوت وغيرها أو مصرع السادات وهى وقائع ذات توتر نفسى وامتداد زمنى واتصال بما لا ينتهى من الأسباب والعوامل المكونة والنتائج ؟ أى أن التاريخ فى عمومه لا يقاس قياساً كمياً (نتائج الحملة الفرنسية ليس فيها قياس كمى) .

- التنبؤ غير موجود أو غير مستساغ فى التاريخ ، ففى العلوم الطبيعية نصل إلى قوانيـن عامـة تفسـر الظواهـر المختلفـة ، وتسـاعدنا فـى التنبؤ بما يمكن أن يحدث فى المستقبل ولكن فى التـاريخ لا يمكننـا التنبؤ بما يمكن أن يحدث فى المستقبل (لأنه حـدث بـالفعل) ذلـك أن التاريخ لا يعيد نفسه ، حتى إذا حدثت حادثة معينـة فـلا بـد أن يكون فيها عناصر مختلفة كثيرة عما كان قبل ذلك .

أهمية دراسة التاريخ ووظائفه :

تتضح أهمية دراسة التاريخ من خلال عدة أمور من أهمها :

١- أن التاريخ يساعدنا على فهم وتوضيح الحـاضر ومشكلاته وكيفيـة معالجتها ، فالإنسان لا يستطيع أن يفهم نفسـه وحـاضره بـدون أن يفهم الماضى ويدرسه . فمعظم مشكلات الحاضر تكون فى الغالب تراكمات تكاثرت عبر وخلال تجارب وأحداث المـاضى ، ولذلـك فإن معالجتها يتطلب الوقوف على جذورها التاريخيـة حتـى يمكـن التصدى لها ومعالجتها المعالجة الصحيحـة القائمـة علـى الأسـلوب العلمى ، ومما تجـدر الإشـارة إليـه أنـه إذا كنـا نؤكـد علـى أهميـة التاريخ لمواجهة مشكلاتنا الحاضرة ، فإننـا نؤكـد فـى ذات الوقـت أنـه لا يمدنـا بحلـول جـاهزة يمكـن بهـا أن نواجـه هـذه المشـكلات فدراسة التاريخ وإن كانت توقفنا على جذور المشـكلات الحـاضرة

وتزيد فهمنا لها ، لكن هذه الدراسة لا تستطيع أن تزودنا بحلول لها ، أن التاريخ يعلمنا أن لكل زمان ومكان ظروفه وأفكاره .

٢- إن دراسة الماضى والتأمل فيه تبعد الإنسان عن الغرور وحب الذات ، فيرى من خلاله ما لا يراه فى نفسه من مزايا الغير وأخطائه ، وتجعله أقدر على فهم نفسه وحسن التصرف فى الحاضر والمستقبل . فالتاريخ يمكن الفرد من أن يتخذ موقفاً إيجابياً كمواطن من الحاضر ، وذلك فى ضوء معرفة الحقائق عن الماضى ، فالمواطن لكى يكون إيجابياً فى حياته متفاعلا مع مجتمعه لا يمكن أن يتم ذلك إلا من خلال فهمه للحاضر ومشكلاته، وفهمه للحاضر لابد أن يتم فى ضوء الماضى ، حتى يستطيع الفرد أن يأخذ موقف منه .

٣- إن الإنسان بدون الماضى فى الغالب سيعود لكى يبدأ حياته بأشياء لا تختلف عما كان قد بدأه منذ آلاف السنين ، ولنفرض أننا استطعنا بطريقة ما أن نقطع نهائياً صلتنا بالماضى وأننا تمكننا من حرق دار الكتب ، ودمرنا آثار العمران الراهنة وغيرها فماذا ينتظر أن يكون عليه حال الإنسان ومصير الحضارة بعدئذ ؟.

فالميزة الأولى التى تميز الإنسان – باعتباره كان حى يعى تاريخه – عن غيره من المخلوقات هى أن كل جيل من البشر يعرف تجارب الجيل الذى سبقه ويستفيد منها ، وأنه بهذه الميزة يتطور ، فالإنسان الذى يعى تاريخه هو الذى يعرف ما أصاب أسلافه

بالأمس ، ومنذ مائة سنة ، ومنذ آلاف السنين فهو قادر على أن يجنب زلاتهم ، ويستفيد من تجاربهم ويضيف إلى اكتشافاتهم وكل جيل لا يبدأ من جديد ولكن يضيف إلى ما سبق وهذا هو التقدم .

٤- إن التاريخ يمدنا بآلاف التجارب السابقة التى يمكن أن نهتدى بها وبما وصلت إليه من نتائج فى فهم الحاضر وتفسيره وبذلك يمكن أن يوفر العديد من الوقت والجهد والمال للتأكد من بعض التجارب والخبرات ، فالدراسة التاريخية توسع إختيارات الإنسان وخبراته ، ونحن نرى فى حياتنا اليومية فرقاً محسوساً بين الذى يقدم للمرة الأولى على معالجة أمر من الأمور ، والذى يكون قد حاز مثل هذه المعالجة مرات عديدة ، فإن النظر إلى المشكلة والأسلوب الذى يتبع فى معالجتها يختلفان فى الحالة الثانية عما هما فى الأولى ، بقدرما يكون صاحبها قد اكتسب من تجربة ونضج واهتمام واساليب فى التفكير والعمل وأن الجنس البشرى فى تطوره التاريخى ، قد أدخل تحسينات وتغيرات جوهرية على أساليبه ووسائله فى مواجهة المشكلات ، ومن هنا فإننا وإن كنا نواجه الكثير من المشكلات التى واجهها السلف من قبلنا ، إلا أن الخلول التى توصلوا إليها لا يمكن أن تساير كما هى ودون تعديلها بما يناسب روح العصر الذى نعيش فيه ، أو أن تصلح مادة للتطبيق على مشكلات هذا العصر ، أن دراسة التاريخ توقفنا دون شك على جذور المشكلات الحاضرة وتزيد فهمنا لها ، ولكن هذه

الدراسة لا تستطيع أن تزودنا بحلول هذه المشكلات فالتاريخ هو دراسة الماضى ولكن لاكفاية فى ذاته ، بل لتنوير الحاضر وتفسيره والوقوف على الظروف التى صنعته وانتجته وإذا كان المرء يكتسب خبراته من اختباره الخاص ، فهو يكتسب أيضاً من اختبار غيره ، والثقافة التاريخية تمده بهذا الاختبار ، لا باختبار فرداً أو أفراد فحسب . بل باختبار أجيال وشعوب وثقافات وحضارات، فإذا بحياته قد طالت وامتدت وشملت حياة المئات والألوف بل الملايين من الناس وإذا بمعرفته قد اتسعت وحملت معرفتهم ، وإذا بخبرته قد غزرت واغتنت بما أفاد من خبرتهم المديدة المتنوعة .

٥- إن الإنسان لا غنى له دراسة ماضيه باعتباره كائناً اجتماعياً فهو بالنسبة له بمثابة المرآة التى يرى عليها كل شىء ، يرى مظاهر القوة والضعف لكل شعب من خلال دراسة نظم الحياة لديه والأفكار والنظريات التى يؤمن بها ، ويرى عليها ما تحملته الشعوب من آلام فى الماضى ومن تأخر وما بذلته من جهود لبناء نفسها ولاسعاد غيرها ، ويرى عليها مدى التقدم الذى أحرزه كل شعب فى الماضى ، وعوامل هذا التقدم ونقارن بينه وبين حالته الأن ، ويرى عليها أعمال الزعماء والقادة والفلاسفة والعلماء والمربين ، ويقدر ما قدموه لنا فى الماضى وأثر ذلك على حياتنا الأن .

٦- إن الإنسان فـى ضـوء دراسـته للمـاضى يسـتطيع أن يتبين طريـق المستقبل ويسهم فى توجيه الحياة الإجتماعية فى المستقبل فالتـاريخ يهتم بدراسة الماضى لإلقاء الضوء على الحياة الإجتماعية حاضراً ومستقبلاً .

منهج البحث التاريخى :

إذا كانت كلمة منهج تعنى الطريق ، كلمة منهج البحـث تشير إلـى طائفة القواعد أو الطرق العامة التى نسعى مـن وراءهـا إلـى الحصـول على المعرفة ، فإن منهج البحث التاريخى يمكن تعريفـه بأنـه المراحـل أو الطـرق التـى يسير خلالهـا البـاحث أو المـؤرخ حتـى يبلـغ الحقيقـة التاريخيـة ، تلـك الحقيقـة النسـبية ، فـالوصول إلــى الحقيقـة التاريخيـة المطلقة أمر غير مستطاع لعوامل مختلفة منها ضياع الأدلـة وانطمـاس الآثار إضافة عمليات تزييف الحقائق التاريخية .

فدراسة الوقـائع التـى حدثـت فـى المـاضى يتـم مـن خـلال المنهـج التاريخى ، هذه الوقائع التى لا تقبـل الإعـادة أو التكـرار ، الأمـر الـذى يجعل مهمة الباحث هنا هى أن يحاول استعادة هذه الأحداث الماضية – نظريا وكأنه يحيا فى الماضى – ، كما حدثت فى نوع من التخيل الـذى يستند إلى دراسة الآثار أو الوثائق التى خلفتها هذه الأحداث الماضية .

ويمر البحث التاريخى فى خطوات رئيسية هى :-

١ - اختيار موضوع البحث وتحديده :

وهناك أمور عديدة من الضرورى مراعاتها عند عملية الاختيار من بينها :

أ- الجدة : فلا بد أن يكون موضوع البحث جديداً ، وإلا يكون تكراراً لا داعى له .

ب- الأهمية والقيمة : حيث يجب أن يكون موضوعاً البحث مهما لقطاع كبير من أفراد المجتمع ، أو متعلق بمشكلة قومية أو اجتماعية يراد حلها .

جـ- الحاجة إلى هذا البحث : معنى أن تكون هناك مطالبة من قطاع معين يوجب تناول هذا البحث .

د- توفر المعرفة لدى الباحث بميادين المعرفة المتصلة بموضوع البحث .

هـ- توفر المادة العلمية (المصادر) والأدوات والأموال اللازمة لإجراء البحث .

٢- البحث عن المصادر أو الوثائق المتعلقة بموضع البحث :-

الخطوة التالية لإختيار البحث وتحديده هى البحث عن الوثائق المتعلقة بموضع بحثه . فهذه الوثائق هى الأثر المادى الوحيد الذى خلفه الماضى كنتيجة لأفكار السلف وأفعالهم ، وهى تشمل الآثار

المادية (المخلفات) والمخطوطات المكتوبة والروايات التى يكتبها المعاصرون للأحداث إضافة إلى السجلات الرسمية ... وغيرها من المصادر الأولية والثانوية باعتبارها المصدر الأساسى للكتابة التاريخية إذ لا بديل عن الوثائق ، وحيث لا وثائق فلا تاريخ .

٣- نقد الوثائق أو نقد المادة التاريخية :

إذا كانت الوثائق فى المنهج التاريخى هى نقطة الإبتداء ، والوقائع التاريخية التى حدثت فى الماضى هى نقطة الوصول ، فإن بين نقطة الإبتداء - كما يرى سعد مرسى أحمد - ونقطة الوصول طريق طويل شاق يحتاج من الباحث إلى نقد وتحليل فى كل خطوة يخطوها من البداية إلى النهاية ، ابتداء من معرفة الوثائق إلى معرفة الوقائع .

فالباحث بعد أن ينتهى من جمع الوثائق الخاصة به ، وجمع المعلومات المتعلقة بالموضوع ، ويدخل فى عملية نقد الأصول التاريخية للتثبت من صحتها ، وممارسة النقد تعنى فى أبسط الأمور عدم التقديس الأعمى للمعلومات المستمدة من النصوص وخاصة من الوثيقة الرسمية إلا بعد اخضاعها لعملية النقد المنهجى ، فمن غير المستطاع للمؤرخ أن يصل إلى الحقيقة التاريخية إذا لم يعمل النقد فى كل ما يقع تحت يده من أنواع الوثائق التاريخية .

وأساس النقد الحذر والشك فى معلومات الأصل التاريخى ، ثم دراسته وفهمه واستخلاص الحقائق من ثناياه ، فمن العبارات المألوفة

عن الدراسات التاريخية أن الشك هو بداية الحكمة فى هذه الدراسات ، ويتطلب هذا من الباحث أن يفترض مقدما أن المعلومات التى يجمعها تحتاج إلى نقد وإثبات لصحتها ، وتزداد الحاجة إلى نقد المادة التاريخية كلما بعد الزمن بين واقعة معينة ووقت تسجيلها .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه على الرغم من أن تزييف الأصول والوثائق قد صار اليوم أصعب منه فى الماضى ، فإن دوافع التزييف والدس لا تزال قائمة كالاهواء والمطامع وحب الكسب والشهرة ، والتزييف والإنتحال يوجدان فى كل أنواع الأصول التاريخية .

١٠ .وينقسم النقد فى منهج البحث التاريخى إلى قسمين أو مرحلتين هما:

أ- النقد الخارجى أو الظاهرى : وهو خطوة تمهيدية وضرورية لتحديد صحة الوثيقة وإنتسابها إلى العصر الذى تنسب إليه ، أو مؤلفها الأصلى . فهو مجموعة من الأبحاث الاولية التى يجب على الباحث أن يبدأ بها للتحقق من صحة الوثيقة ومصدرها وأصلها وشكلها ولغتها وخطها ومؤلفها وتاريخها وأحداثها ، واكتشاف ما بها من تزوير أو تغير أو أخطاء وبحث كل ما يماثلها من وثائق أخرى تطابقها ، ومقابلتها بأخرى تختلف عنها . فالنقد الخارجى ينقسم إلى قسمين هما التحقق من صحة الوثيقة (نقد الوثيقة) . والتحقق من شخصية صاحب الوثيقة (نقد المصدر) .

ب- النقد الداخلى : ويهدف إلى بيان ما قصده صاحب الوثيقة من هذه الوثيقة ، ثم معرفة صدقه فى الرواية سواء أكان شاهد عيان أو كان ناقلا عن غيره ، بمعنى أن النقد الداخلى يهتم بالتحقق من معنى وصدق المادة الموجودة فى الوثيقة مع تحديد الظروف التى كتبت فيها هذه الوثيقة فى محاولة للوصول إلى تفسير دقيق لما ورد بها من أحداث .

والباحث فى قيامه بعملية النقد هذه عليه أن يعتمد على قاعدتين هما :-

- ألا يثق الباحث فى رواية لمجرد أن صاحبها شاهد عيان ، فشهادة العيان ليست صحيحة دائماً ، لأن صاحبها قد يخطئ بقصد أم بدون قصد ، ولذلك يجب فحص الأحوال التى وضعت فيها الوثيقة ، والظروف التى أحاطت بمؤلفها سواء أكانت هذه الظروف خارجية عامة أم كانت ظروفاً شخصية خاصة بالمؤلف نفسه .

- ألا يأخذ الباحث الوثيقة ككل ، بل يجب تحليلها إلى عناصرها لاستخلاص كل الأقوال التى تتألف منها ، ويجب فحص كل قول التأكد من أنه من النوع الذى ينطوى على سبب كاف لتصديقه ، وبحث كل قول من هذه الأقوال ، وصحة دلالته على الوقائع الواردة بها .

٤- تصنيف الحقائق وتحليلها :-

بعد استخراج كل المعلومات التاريخية التى تتضمنها الوثائق الخاصة بموضع البحث ، على الباحث أن يقوم بضم المعلومات

المتناثرة بعضها إلى بعض وتصنيفها طبقاً لمبدأ معين يتفق وأهداف البحث .

٥- كتابة تقرير البحث :

وفيها يتم عرض الأحداث التاريخية وكتابتها وفقاً للصيغ والقواعد العامة للعرض التاريخي ، بحيث يكون واضحاً ودقيقاً ومفهوماً للآخرين ، وذلك لن يتأتى للباحث إلا يتمكنه من اللغة التى يكتب بها بحيث تكون سهلة وواضحة تلائم الموضوع الذى يتناوله .

تاريخ التربية :

يقصد بتاريخ التربية دراسة أوضاع التربية فى بلاد العالم منذ العصور الأولى للبشرية حتى الوقت الحاضر ، مع دراسة المراحل التى مرت بها التربية ، بما تضمنته من أساليب للتعليم والثقافة بصفة عامة فى ضوء الظروف المختلفة التى تؤثر فى التربية . فإذا كان التاريخ يتناول حركة المجتمع بصفة عامة فإن تاريخ التربية هو تاريخ حركة المجتمع ونشاطه فى مجال التربية أى فى مجال إنشاء القوانين والنظم والمؤسسات والفلسفات المتصلة بعملية التشكيل الأيديولوجى لأبناء المجتمع صغارهم وكبارهم ، فتاريخ التربية ببساطه هو ذلك الجانب التربوى من حركة المجتمع متمثلاً فى فكر تربوى ينتج أو نظام تربوى يقام ، أو تتغير ملامحه وتتعدل لتتفق مع وضع اجتماعى جديد .

والواقع أن الإقتصار على هذه الجوانب (المؤسسات التربوية – أساليب التربية – الفكر التربوى – وغيرها) فى تاريخ التربية لا يعدو – فى حد ذاته – تاريخاً للتربية من وجهة نظر المنهجية العلمية فى التأريخ للتربية ، ذلك أن التربية عملية اجتماعية تتم فى وسط اجتماعى وتخضع لمؤثرات عديدة ، ومن ثم فإن التأريخ للتربية ينبغى ألا يقتصر على دراسة مؤسسات التعليم والمناهج التربوية وأوضاع المعلمين والإدارة المدرسية والتعليمية وألوان النشاط المدرسى وما إليها ، بل ينبغى أن يتناول – إلى جانب ذلك – دراسة ما يتصل بها من فكر وما يوجهها من سياسات ، وما تقوم عليه من فلسفات وأفكار ومبادئ ، باعتبار أن هذه النظم والمؤسسات أشكال لابد لها من مضمون ، ومضمونها هو ما يتصل بها ، ويؤثر فى محتواها ثم مدى تأثر الإنسان به أو تأثيره فيه . ولذلك فإنه لدراسة تاريخ التربية فى أى مجتمع من المجتمعات البشرية لابد من الوقوف على عدة عوامل باعتبارها مؤثرات تشكل أوضاع الثقافة والتربية فى المجتمع ، من هذه العوامل ، العوامل السياسية والتى تتعلق بالأوضاع السياسية للمجتمع ما تتضمنه من نظم الحكم وما يقوم به من دفاع وما يعانيه من هجوم ، وكذلك ما يكتنفه من ظروف سياسية عامة ، وكذلك العوامل الإجتماعية والتى تتناول حياة المجتمع من حيث هو مجتمع مفتوح أو انعزالى مغلق ، ثم ما يسوده من قيم ومبادئ ومثل واتجاهات عامة ، وما يتعرض له الجتمع من تغير اجتماعى ... وغيرها ، وكذلك العوامل الاقتصادية

والتى تتناول نظم التبادل الأقتصادى فى المجتمع ، وحجم الديون التى تكبل هذا المجتمع ... وغيرها ، بالإضافة إلى العوامل الجغرافية والتى تتعلق بالبيئة والمناخ ، وكذلك العوامل الدينية والتى تتناول ما يدين به الأفراد من ديانات سماوية أو معتقدات يعتنقها المجتمع وموقف الدولة من الدين .... وغيرها .

فكل هذه ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتربية ومن ثم فإن فهم أو التعرف على تاريخ التربية فى أى مجتمع من المجتمعات لا يمكن أن يتم بصورة صحيحة إلا من خلال تناول كافة هذه العوامل وبيان مدى تأثر التربية فى كل مرحلة تاريخية بهذه العوامل .

أساليب دراسة تاريخ التربية :

لدراسة تاريخ التربية أساليب وأشكال مختلفة ، لكل منها إيجابياته وسلبياته من هذه الأساليب أو الأشكال :

أ- دراسة حياة وآراء أعلام ومفكرى وفلاسفة التربية : وفى هذا الأسلوب يكون محور الدراسة التاريخية حياة وآراء أعلام التربية أو الفلاسفة الذين تركوا بصمات واضحة فى الميدان التربوى حيث يمكن أن نبدأ بدراسات عن افلاطون وأرسطو ثم السيد المسيح وفلاسفة التربية المسيحية وفلاسفة التربية الإسلامية ثم فلاسفة ومفكرى التربية الحديثه ... وهكذا .

وعلى الرغم من أن هذه الطريقة أكثر تشويقاً وجاذبية للقارىء فإنها قد تؤدى إلى تأكيد دور المفكرين والفلاسفة وتقلل من شأن الظروف الموضوعية التى ساهمت فى تشكيل فكر هؤلاء ، كما أنها قد تؤدى إلى افتقار الشعور بالاتصال الزمنى والمكانى طوليا وأفقياً بين هؤلاء المفكرين والفلاسفة ، فيظهر كل واحد منهم وكأنه منقطع الصلة بمن هو قبله ومن هو بعده بعيداً عن المؤثرات الأخرى هذا إلى جانب أغرائها البعض باستغراق جزء غير بسيط فى الكتابة عن التاريخ الشخصى للمربى أو الفيلسوف كمحاولة لفهم فكره وآرائه ، كما أنها قد تفقد المؤرخ أو القارئ الوقوف على الأطر الرئيسية الكبيرة للفكر الإنسانى ، والتى يضم كل منها عدداً من المربين والفلاسفة .

ب- دراسة احدى قضايا التربية الأساسية من أقدم العصور حتى الآن : وفى هذا الأسلوب لا يكون محور الدراسة التاريخية حياة اعلام التربية والفلاسفة وإنما يكون الأساس احدى القضايا أو المشكلات التربوية ، حيث يختار الباحث قضية معينة من قضايا التربية الأساسية أو مشكلة من المشكلات التربوية ويتتبعها عبر العصور التاريخية وحتى الآن ، كأن يدرس مثلاً قضية تعليم المرأة عبر العصور التاريخية ، تطور العلاقة بين التربية والسياسة ، نظام التقويم ، قضيه السلم التعليمى ، تطور العلاقة بين الدولة والتعليم ، المركزية واللامركزية فى إدارة التعليم وهكذا .

كما يمكن أن يكون محور الدراسة مفهوم أو مشكلة من مفاهيم التربية الأساسية مثل تكافؤ الفرص والطبيعة الإنسانية والحرية والثواب والعقاب فى التربية ، حفظ النظام داخل المؤسسة التعليمية وغيرها .

والواقع أن هذه الطريقة تتميز بتلك الوحدة الفكرية التى تتخطى حدود الزمان والمكان فتقدم فى اطار واحد ، وفى مسار رئيسى كافة الأراء والأفكار الخاصة بقضية أو مفهوم أو اتجاه معين ، وتتيح فرصة تتبع التطور الذى لحق تناول محور الدراسة ، كما أن هذا الأسلوب يجعل تاريخ التربية وظيفياً وليس مجرد قصة تحكى فهو يجعل معالجتها وظيفية ، فنحن نختار بعض الأحداث ونترك البعض الآخر حسب وظيفة كل حادثة أو حقيقة فى توضيح المشكلة ، إضافة إلى أن هذه الطريقة تصلح للمبتدئين فى دراسة التربية وكذلك فإنها أصلح لطلاب الدراسات العليا ، حيث يتم الاقتصار على جانب معين والتفرغ لدراسته والبحث فيه .

أما ما يؤخذ على هذه الطريقة فيتمثل فى الآتى :

١- إن هذه الطريقة قد تؤدى إلى حدوث بعض التكرار لأن معظم المفكرين والفلاسفة قد تناولوا كثيراً من هذه المحاور فى عصور مختلفة .

٢- أنه فى ظل هذه الطريقة يصعب الإشارة إلى الظروف الموضوعيه من تركيب اقتصادى وبناء إجتماعى ونظام سياسى وغيرها ..

وذلك عند الكتابة عن كل محور أو قضية أو مشكلة وبحث تطورها التاريخى .

٣- إن هذه الطريقة تحمل تسليماً ضمنيا بوجود العلاقة التى ندرس تطورها ، بينما واقع الحال قد يبين أن فى ذلك تجاوزاً كبيراً ، حيث تتضافر - كل أو معظم - العوامل فى التأثير على بعضها البعض .

جـ- الاعتماد على التقسيم الزمنى : حيث يتم ترتيب الأحداث حسب زمن حدوثها حيث يجزأ تاريخ التربية إلى فصول وفترات زمنية ، وكل فصل يتناول فترة زمنية معينة بما تشمله من أحداث وأفكار ومشكلات تربوية ، ووفق هذه الطريقة يقسم تاريخ التربية إلى عدة عصور مثلاً التربية فى العصور البدائية ، التربية فى العصور القديمة، والتربية فى العصور الوسطى .. وأخيراً التربية فى العصور الحديثة ، وداخل كل عصر من هذه العصور يتتبع الباحث أهم الأبعاد الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والثقافية التى يكون لها أثر فى تشكيل الفكر التربوى وقيام المؤسسات والنظم التربوية .

والواقع أن هذه الطريقة تعد من أكثر الطرق شيوعاً فى دراسة وتنظيم التاريخ العام وتاريخ التربية ، على الرغم من المآخذ العديدة عليها والتى تتمثل فى افتقاد الوحدة الفكرية بين آراء بعض الفلاسفه والمربيين ، وصعوبة التعرف على تطور البحث فى قضية أو مشكلة

من المشكلات التربوية عبر العصور المختلفة من خلال إتباع أسلوب التسلسل أو الترتيب الزمنى لتاريخ التربية .

وانطلاق مما سبق عرضه عن الطرق والأساليب الثلاثة ، مميزاتها وعيوبها ، فإن المؤرخ والدارس لتاريخ التربية لابد وأن يمزج بين هذه الطرق الثلاث وهو ما يحدث فى الغالب ، فالدارس لمشكلة معينة أو قضية من قضايا التربية عبر العصور المختلفة ، ويعالجها غالباً وفق الترتيب الزمنى كما أنه يتناول موقف وآراء المربين والفلاسفة فى هذه العصور من القضية موضع الدراسة ، كذلك الحال بالنسبة للدارس الذى يختار الطريقة الثالثة (الترتيب الزمنى) إذ يمكن أن يدير كلامه حول الفلاسفة والمربين كما قد يديره حول نظريات واتجاهات ومشكلات تميزت بها كل فترة زمنية يتناولها بالدراسة ... وهكذا .

مصادر تاريخ التربية والتعليم :

يعتمد الدارس أو الباحث فى مجال تاريخ التربية والتعليم فى دراسة هذه الجوانب التاريخية على عدة مصادر يمكن تصنيفها على النحو التالى :

أولاً – الوثائق أو المواد المسجلة للحقائق :

وتشمل عدة أمور منها :

أ- القوانيين واللوائح والتشريعات .

ب- أحكام المحاكم وحجج الأوقاف إذا كانت هذه الحقائق متعلقة بأحكام تعليمية أو مصادرة كتب أو معاقبة اساتذه أو طلاب ... وغيرها .

جـ- المنشورات والتعليمات ومحاضر الاجتماعات والتقارير التعليمية وتقارير لجان الامتحانات ، سجلات المدرسين والتلاميذ ، ودفاتر مرتبات المدرسين ؛ خطط الدراسة ، دليل المدارس ... وغيرها .

د- السير الذاتية لرجل من رجال التعليم ، المذكرات - التراجم - الشهادات - الوصايا - الدروس التي يمليها الاساتذة على الطلاب .

هـ- بعض الأعمال الأدبية التى تناولت واقع ما يحدث فى المدارس أو أوضاع المعلمين والتلاميذ وغيرها من الجوانب المتعلقة بالتربية والتعليم .

ثانياً - المخلفات التى لم يقصد منها تسجيل الوثائق :

وهى تشمل فى مجال التاريخ العام بقايا الإنسان وملابسه وطعامه ومسكنه وأدواته المنزلية ، سجلاته التجارية ، النقوش والآثار التى على القبور .. وغيرها ، وهى تشمل فى مجال تاريخ التربية والتعليم المبانى المدرسية ، الأثاث المدرسى ، أدوات التعليم ، أدوات العقاب ، الكتب المدرسية ، كراسات التلاميذ ... وغيرها من المخلفات التى لم يكن يقصد من ورائها التاريخ ولكننا نستدل منها على أشياء كثيرة .

وهناك من يصنف هذه المصادر إلى :

أ- مصادر أولية : وهى تشمل شهادات الذين عاصروا الموضوع وقت حدوثه ، أو الوقائع المادية الدالة على الحدث التاريخى ، أنها تلك الوثائق التى يكون فيها الشخص واصفا الأحداث معاصراً ومعايشاً لها أو مشاركاً فيها .

ب- مصادر ثانوية : وهى تشمل كتابات المؤرخين عن الموضوع أو الحدث التاريخى والواقع أن التفرقة بين المصادر الأولية والثانوية ليست عملية سهلة ، فربما احتوى مرجع أو وثيقة على معلومات يعتبر بعضها مصدراً أولياً ، وبعضها الآخر . مصدراً ثانوياً ، ومن الممكن أن تكون وثيقة أو كتاب مصدراً أولياً بالنسبة لموضوع معين ، ومصدراً ثانوياً لموضوع آخر . وإذا كانت المصادر الأولية هامة وضرورية للبحث التاريخى فإن ذلك لا يقلل من أهمية المصادر الثانوية فهى تفتح أمام الباحث بعض الاحتمالات أو تقترح بعض الفروض خاصة فى حالة قدرة المصادر . كما أنها تعرفه ببعض المصادر الأولية الهامة ، كذلك قد تزوده المصادر الثانوية بخلاصات للمعلومات الأساسية التى تيسر له العمل فى بحثه ، وقد يستخدمها لكى تعطيه نظرة عامة على مجال المشكلة التى يبحثها وتساعده فى تخطيط مبدئى لها ، ومن الطبيعى أن يغير الباحث أو يعدل هذا التخطيط عندما تشير المعلومات الأصلية إلى ضرورة التغيير .

أهمية دراسة تاريخ التربية بالنسبة للطالب المعلم :

بالإضافة إلى ما سبق ذكره عن وظائف التاريخ وأهميته بصفة عامة فإن أهمية دراسة تاريخ التربية بالنسبة للمعلم تتضح فى الجوانب التالية :-

١- إن دراسة المعلم لتاريخ التربية فى عصورها المختلفة تضيف إليه كثيراً من المعلومات وتوفر له من خبرات الماضى ما يساعده على فهم الحاضر ومشكلاته أو التنبؤ بما سيكون فى المجال التربوى فى المستقبل خاصة ، وإن معظم المشكلات المعاصرة نتاج تراكمات تكاثرت عبر وخلال تجارب وأحداث الماضى إضافة ما يذخر به تراثنا القديم من خبرات وتجارب يمكن أن تسهم فى حل الكثير من المشكلات الحاضرة .

٢- إن دراسة المعلم لتاريخ التربية والتعليم تجعله أكثر مرونة وتبصراً بالدوافع والأسباب التى شكلت الأوضاع الثقافية والتعليمية التى كانت قائمة فى العصور المختلفة بما قد يفيد فى تقييم الحاضر وإعادة التطرفية بما يتلائم والظروف المعاصرة .

٣- إن طبيعة عمل المعلم تحتم عليه معرفة شئون التربية والإهتمام بأمور التعليم فى بلده أو فى غيرها من بلاد العالم فى عصور مختلفة ومعرفة العوامل المؤثرة فيها .

٤- إن دراسة تاريخ التربية تدفع المعلم إلى مزيد من الاضطلاع والتعمق والتفسير والموازنة نتيجة لما يحسه من متعة عقلية تستمد من التأمل والبحث فى العوامل المختلفة التى أثرت فى النظم التعليمية خلال العصور التاريخية المختلفة .

٥- تكسب دراسة التاريخ بصفة عامة وتاريخ التربية الطالب المعلم مهارات عديدة وضرورية لاعداد المعلم الذى يبحث عن الجديد ويحاول تطوير نفسه منها :

أ- كيفية الحصول على المعلومات التاريخية من الكتب والمجلات والصحف وغيرها من مصادر المعرفة مثل الإذاعة والتليفزيون والسينما والمقابلات الشخصية وفهم هذه المعلومات وادراك معانيه .

ب- المهارة فى تفسير الخرائط والرسوم البيانية والصور والاحصاءات وقراءتها وترجمتها .

جـ- الحكم على قيمة المعلومات عن طريق التعرف على مصادرها والتمييز بين مستويات الحقيقة ، وبين الحقيقة وتفسيرها واكتشاف الدوافع وراء التفسيرات المختلفة .. وغير ذلك من مهارات التفكير الناقد .

د- كيفية انتقاء المعلومات وتنظيمها وعرضها ، ويصل من هذا إلى تكوين رأى حول القضايا الاجتماعية الماضية منها والحاضرة .

٦- إن دراسة تـاريخ التربيـة والتعليـم تمكـن المعلـم مـن ادراك الصلـة الوثيقة بين التعليم ونظامه وبيـن البنيـة الإجتماعيـة بكـل مكوناتهـا والعوامل المختلفة المؤثـرة فيهـا والمتـأثرة بهـا ، وإظهـار العيـوب والأخطاء . حتى يمكن أن تكون لنا بمثابة دروس نستفيد منها فـى تعليم أبنائنا.

٧- تنمية القدرة على اكتشاف العلاقة بين النظريات التربوية المختلفة ، وبين التطبيقات العملية لها داخل المدرسة وإرجاع النظريـات إلـى إطارها الإجتماعى والثقافى الذى ولدت فيه .

(المراجع)

١ – حسن إبراهيم عبد العال : **فى مناهج البحث التربوى (البحث التاريخى والبحث الوصفى)** –كلية التربيه جامعة طنطا – ١٩٩٧.

٢– حسن عثمان : **منهج البحث التاريخى** – الطبعة الرابعة دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠ .

٣– د يوبولد ب . فإن دالين وآخرون : **تاريخ التربية البدنية** ترجمة محمد عبد الخالق علام ، محمد محمد فضالى – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٧٠ .

٤– ديوبولد ب . فإن دالين : **مناهج البحث فى التربية وعلم النفس** – ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة – ١٩٨٤ .

٥ – سعد مرسى أحمد وآخرون : **تاريخ التربية وتاريخ التعليم فى مصر** – كلية التربية جامعة عين شمس – ١٩٨٨ .

٦– سعيد اسماعيل على : **مقدمة فى التأريخ للتربية** ، عالم الكتب – القاهرة – ١٩٩٥ .

٧- سعيد اسماعيل على : **تاريخ التربية والتعليم فى مصر** ، عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٥ .

٨- سعيد اسماعيل على – مجالات العلوم التربوية فى **المدخل إلى العلوم التربوية** تحرير سعيد اسماعيل على – عالم الكتب – القاهرة ١٩٨٢ .

٩ – شمس الدين السخاوى : **الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** – دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشب – مكتبة ابن سينا – القاهرة – ١٩٨٩ .

١٠- عبد الغنى عبود : **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٧٨ .

١١- عرفات عبد العزيز سليمان : **المعلم والتربية " دراسة تحليلية مقارنة لطبيعة المهنة** – مكتبة الانجلو المصرية القاهرة – ١٩٧٧ .

١٢- هنرى جونسون : **تدريس التاريخ** – ترجمة أبو الفتوح رضوان – دار النهضة العربية – القاهرة ١٩٦٥ .

(الفصل الأول)

التربية فى العصور البدائية

- مقدمة
- طبيعة الحياة البدائية وخصائصها
- طبيعة التربية البدائية واتجاهاتها العامة :-
  1- أهداف التربية
  2- أنواع التربية
  3- محتوى التربية
  4- وكالات التربية ومؤسساتها
  5- طرق التربية
  6- المعلمون
- مراجع الفصل الأول

مقدمة :

من الصعب تحديد بداية للتربية ، فالتربية قديمة قدم الحياة ذاتها ، فهى أقدم من التاريخ المكتوب فقد علمت حيوانات ما قبل التاريخ أولادها ، سواء بطريقة ارادية أو غير ارادية كيفية مواجهة أخطار الحياة وتحصيل الطعام والتوقى من الأعداء كما كان إنسان ما قبل التاريخ يعلم أبنائه كيف يحصلون على القوت ويؤمنون حياتهم ، فالتربية اتخذت لنفسها مكاناً بارزاً قبل أن يفكر الإنسان فيها ، كما فكر الإنسان فى التربية قبل أن يحاول أن يكتب شيئاً عنها ، وكانت هناك أفكار تربوية قبل أن توجد مشكلات تربوية ، معنى ذلك أن التربية قديمة وأن اختلفت مفاهيمها واتجاهاتها ومؤسساتها باختلاف العصور المختلفة واختلاف طبيعة الحياة فى كل عصر .

فالفكر الإنسانى عموما (التربوى وغير التربوى) يتحدد بالمواقف الحياتية التى يوجد فيها الإنسان ولذلك فقد ذهب البيئيون وعلماء الإجتماع أمثال دوركايم – ابن خلدون – ماركس – وغيرهم، إلى أن البيئة المادية أو الاجتماعية التى يعيش فيها الإنسان تؤثر على فكره وخلقه وطرائق سلوكه بصفة عامة ، فالمواقف الحياتية التى يعيش فيها الإنسان تؤثر عليه وعلى فكره ، فإذا كانت هذه المواقف بسيطة وساذجة كان الفكر الناشىء عنها بسيطا وساذجاً وعندما تتعقد مواقف الحياة وتتطور ، ينضج الفكر ويتطور وفقاً لتطورها وتلبية لمطالبها .

والواقع أن المؤرخين قد واجهوا كثيراً من الصعوبات ، عندما حاولوا الكشف عن أصل الحياة البدائية ونظم التربية بها ، فإنسان ما قبل التاريخ لم يلجأ إلى تسجيل وقائع حياته ، وإن كل ما نعرفه عن حياته كان من خلال ما تركه من أدلة متناثرة سهلت من أمكان عرض صورة عن حياته وعن المجتمع الذى كان يعيش فيه ، فبقايا الحياة اليومية التى تجمعت بين طبقات الأرض تعتبر بمثابة مفتاح السر للحياة التى كان يعيشها ، والتى قام علماء الآثار والأجناس بتجميعها وترتيبها ترتيباً زمنياً .

ولذلك فإنه لابد من توخى الحذر عن ذكر التربية لدى إنسان ما قبل التاريخ نظراً لندرة الأدلة والبراهين التى تلقى الضوء عليها وتكشف عنها ، والتى يصعب فى ظلها ابراز واقع التربية البدائية بصورة دقيقة .

طبيعة الحياة البدائية وخصائصها :

لكى نفهم طبيعة التربية البدائية واتجاهاتها العامة ، نرى أنه يلزم ذلك الكشف عن الخواص الفكرية البارزة ، وعن تلك الأراء الثقافية التى شكلت هدف العملية التربوية وحددته ، فعلى الرغم من تباين الشعوب البدائية فى كثير من الخصائص العقلية والجسمية والوجدانية ، فإنها تتشابه فى خاصية أساسية على الأقل هى نسبة الحياة إلى الجماد أثناء تفسيرهم للحياة المحيطة بهم وهو ما يعرف بالنزعة الاحيائية ،

وذلك إن الإنسان البدائى كان يعتقد أن وراء كل قوة مادية قوة أخرى غير مادية (روحية) أو المثيل Double الذى يسيطر على كل كائن مادى ، ويعلل وجوده ، ويفسر مقاومته لإرادة الإنسان .

فهو يعتقد أن كل كائن مادى سواء أكان محسوساً أم غير محسوس له شعور ويفكر وله مقدرة ارادية ، وذلك عن طريق مثيله ، وعلى ذلك فعالم الأشياء هو عالم روحى شبيه بعالم الكائنات المادية . وقد كان يفسر أحداث الحياة وفق هذه الاعتقاد ، وقد كان يستدل على تدخل بعض الأرواح الخبيثة إذا ارتبطت بنتائج ضارة .

فالإنسان البدائى أعطى صفة الحياة لكى شيء الأشجار والصخور والعواصف .. الخ ، وكل شيء يغضب ويرضى ، يثور ويهدأ ، قادر على تدميره وقادر على أن يتركه لحال سبيله (لذلك فقد خاف الإنسان الأول الجماد أكثر من خوفه من الكائنات الحية) وكان على الإنسان أن يكيف حياته وفق معتقداته هذه .

ولم يكن اعتقاد الإنسان البدائى فى وجود هذه القوى الروحية ناتج من فكره وتأمله ، وإنما بالأخرى مما يشاهده فى منامه ويقظته ، فقد كان البدائيون يشاهدون فى أحلامهم ما يفعلونه فى يقظتهم ، ويشاهدون رحلات الصيد وحملات الحرب وحفلات النصر ، هذه المشاهدات هى التى أوحت إليهم بهذه العقيدة .

فالأحلام توحى للبدائى أن روحه أو مثيله كان يهيم فى أماكن أخرى ما دام أهله قد أقنعوه بأن جسده لم يغادر مكانه ، وتدل حالات الغيبوبة والاغماء وغيرها من مظاهر فقدان الحساسية ، على أن المثيل قد يغادر الجسد ويعود إليه وفقاً لارادته ، وأما حالات الموت فتدل على أن الروح لا ترغب فى العودة إلى البدن أو أنها ضلت طريقها فاحتلت جسماً آخر ، وحالات الجنون والصرع تدل على أن روحا غريبة تلبس البدن .

ولما كانت حيوانات الإنسان البدائى وآلاته وممتلكاته من الموضوعات التى يشاهدها فى أحلامه ، فقد ظن أن لها أرواحاً . أليس يستعملها فى منامه ؟ أليس لها ظل مثل ظله ؟ أليست تقاوم ارادته أحياناً ؟ إلى غير ذلك من الظواهر التى استدل فيها على حيوية هذه الأشياء ، وعلى أن لها روحاً أو قريباً . وترتب على هذا الاعتقاد فى معظم القبائل البدائية أن تدفن حيوانات الميت وأدواته وممتلكاته معه عند وفاته حتى يتسنى لأرواحها أن تخدم روحه فى العالم الآخر . هذه الشواهد والمتعقدات تدلنا على سذاجه الفكر البدائى وبساطه طبيعة الحياه فيه ، حيث كان الإنسان البدائى يعلل الظواهر التى تحيط به بطريقة تناسب تفكيره السطحى .

طبيعة التربية البدائية واتجاهاتها العامة :

الحديث عن طبيعة التربية واتجاهات العامة فى أى من المجتمعات القديمة أو المعاصرة ، يعنى أننا يمكن أن نتحدث عن عدة عناصر هى:-

١- أهداف التربية

٢- أنواع التربية (نظرية - عملية)

٣- محتوى التربية

٤- وكالات التربية ومؤسساتها

٥ - طرق التربية

٦ - المعلمون

أولاً - أهداف التربية :

يقصد بالأهداف الآمال التى يرغب الكبار فى تحقيقها عند الناشئة الصغار ، أو هى العائدات المقصودة فى صورة فكر أو سلوك أو شعور ، والهدف هو المقوم الأساسى للنشاط ولولاه لما تحرك الإنسان أو الحيوان فهو الذى يحفزه على العمل والفكر والسلوك .

وإذا كانت الأهداف المتوقعة من التربية تختلف باختلاف درجة الرقى الاجتماعي فى المجتمعات المختلفة ، وإذا كانت طبيعة الحياة ساذجة ومطالب الإنسان قليلة لا تتجاوز إشباع حاجاته الضرورية من

مأكل وملبس ومأوى وتأمين من المخـاطر التـى يواجهها سـواء أكـانت من الطبيعة أو الحيوان أو الإنسان فقد كان أمر تشكيل وتربيـة الإنسـان البدائى يقوم على هدفين تربويين هما :

١- التوافق مع البيئة المحيطة

٢- الأمان

فتوافـق الإنسـان البدائـى مـع بيئتـه كـان مـن الأغـراض الأساسـية للتربية البدائى ، وذلك أن التوافق أمـر لا غنـى عنـه للطمأنينـة والأمـن وهو ما دفع البدائيين إلى التجمع فى أسـر وعشـائر ، ولقـد كـان تجمـع هؤلاء الأفراد يتم بشكل طبيعى من غير قصـد شـعورى باعتبـار هـذا التجمع هو الأمر الحاسم فى المحافظة على البقاء ، وكـان التشـابه بيـن الفرد والجماعة أمراً ضرورياً لراحـة الفـرد وراحـة الجماعـة ، وبذلـك أصبح للحياة الاجتماعية قوة ترغم كـل شـخص علـى مسـايرة الجماعـة والعمل فى اطار القيم والتقاليد الاجتماعيـة المقبولـة مـن خـلال تعريفـه بالرموز السائدة لديهم وتعويده على طرائق حيـاتهم وتجنـب المحرمـات وعبادة آلهتهم .. الخ .

وحينمـا أصبـح الإنسـان البدائـى علـى وعـى بمـا يحقـق التشـابه والتطابق بين الفرد والجماعة ، حرص على التكيـف مـع بيئتـه الماديـة والروحية من خلال ممارسة الطقـوس والعبـادات الدينيـة .. وغيرهـا ، فالتربيـة فـى هـذا الجـانب كـانت أشـبه بـالتطبيع الاجتمـاعى علـى حيـاة الجماعة تحقيقاً للمسايرة أو التشابه بما يجعل انحراف الفـرد عـن تقـاليد الجماعة الاجتماعية التى ينتمى إليها جريمة لا تغتفر .

أما بالنسبة لهدف الأمان : فيمكن القول بأن الهدف الرئيسى للتربية البدائية تمثل فى تحصيل أسباب الأمن ، فلقد تركزت مشكلة الشعوب البدائية حول كيفية تحصيل الطعام والترقى من قوى الطبيعة المدمرة ومن الأعداء سواء أكانوا من الإنسان أو الحيوان أو الجماد ، فلقد كان الخوف أو قل طلب الأمن هو الحافز لمعظم أعمالهم وتصرفاتهم فالنار والعواصف والرعد والفياضانات أوجدت فى قلب البدائى شعوراً بالخوف دفعه إلى العمل ثم شرع فى نقل تلك الأفعال التى ثبت له جدواها إلى أولاده ، وذريته ، ويعد الخوف الدافع الأساسى للتربية البدائية خوف الإنسان من الموت جوعاً وخوفه من الطبيعة وخوفه من أخيه الإنسان وخوفه من الحيوان ... الخ ، فهدف التربية البدائية كان يتمثل فى الحصول على ضرورات الحياة والتودد للقوى الخفيه التى كان يفترض وجودها وتأثيرها على العالم .

– ثانياً : أنماط التربية وأنواعها :

فى ضوء الأهداف السابقة احتوت التربية البدائية نمطين عامين نجدهما فى كل الثقافات على تنوعها :

أ– تربية تتعلق بالمنظور أو المحسوس أو ما يسمى بالتربية العملية .

ب– تربية تتعلق بغير المنظور أو غير المحسوس أو ما يسمى بالتربية النظرية .

فالتربية العملية أو المنظورة احتوت على أشكال مبسطة مما يندرج اليوم تحت عناوين التدريب المهنى ، التدريب أو التربية العسكرية ، التدبير المنزلى ، والتربية الرياضية والتربية الخلقية ... وغيرها من المحالات التى أصبحت أساس أو ركائز بنى عليها الاقتصاد والاخلاق والاجتماع والسياسة وحياة الجماعة .

أما التربية النظرية البدائية فقد اشتملت على ما نسميه الآن التربية الدينية والتربية الفنية والتربية الموسيقية والتربية الفكرية ... وغيرها مما يعتبر أساساً للدين والفن والموسيقى والأدب والفلسفة والعلوم . والواقع أن أشكال التربية النظرية البدائية كانت وثيقة الصلة بالعبادة والنواحى الروحية من الحياة ، وغير المنظور من القوى وكانت تطبق لتضمن للناس الأمن والطمأنينة كما كانت العبادة عندهم ذات طابع عملى ، الأمر الذى يمكن القول معه أن التربية البدائية كانت تربية عملية ، تربية للحياة ولكنها فشلت فى إثراء هذه الحياة ، نظراً لبساطة محتواها والذى سنوضحه فى السطور التالية .

ثالثاً – محتوى التربية :

اشتملت التربية البدائية على ثلاث عمليات هى :-

١- **التدريبات اللازمة لكفاية المطالب البدنية :** ففى هذا النوع من التربية كان يتعلم الأولاد فنون الصيد والقنص والحرب والضرب وصناعة الأسلحة ، كما كانت البنات تتعلم رعاية الأطفال واعداد الطعام ، وحياكة الملابس وصنع الأدوات المنزلية وتدبير شئون البيت،

كما تضمن هذا النوع مجموعة من التدريبات البدنية التى تعتنى بجسم الفرد وبنيانه ، وبالرشاقة فى الحركة وتوافقها ، بالإضافة إلى كيفية المراوغة فى سرعة خاطفة حتى يأمن طعنات العدو وسهامه ، بل أنهم شجعوا الأطفال على لكم أبائهم حتى لا يكبروا جنباء ، وأن يتقبلوا بكل شجاعة وثبات اللكمات القوية التى يسددها الأباء (عندما يكبر الأطفال).

٢- التدريب على الاحتفالات والطقوس والشعائر الدينية التى تتطلبها الأرواح : وفى هذا النوع من التدريب كان الأطفال والشباب يتعلمون طريقة استرضاء الأرواح الطيبة وتجنب الأرواح الشريرة من خلال التدريب على طقوس العبادات وتعلم الرقص والغناء وتقديم القرابين واعداد الطعام واستخدام الأحجبة والتعاويذ لحماية الجسم من الأرواح الشريرة .. وغيرها .

٣- التدريب على العادت والتقاليد والمحرمات تحقيقاً للانسجام والتوافق بين الفرد والجماعة :

وفى هذا النوع كان الأطفال يتعلمون المناسب وغير المناسب واحترام الكبار وطاعتهم وكل ما من شأنه أن يحافظ على بقاء الأسرة أو القبيلة واستقرارها .

رابعاً – وكالات التربية أو مؤسساتها :

كانت الأسرة هى المؤسسة الأولى والأساسية فى القيام بالتربية البدائية فقد كانت مسئولة بصورة أساسية عن تربية أطفالها ، حيث كانت النساء تعلمن البنات الواجبات المتعلقة بإدارة المنزل وتربية

الأطفال ، كان الرجال يعلمون الأطفال الصبيان واجبات الرجال من القنص والصيد والقتال وصنع الأسلحة والتقرب إلى الآلهة .. وعندما كان الشاب يتعلم ما يعرفه أبوه من علم ومعرفة تتوقفه تربيته ، ويعتبر تعليمه مكتملاً ، وعندما تتساوى البنت مع أمها فى اعداد الغرفة يتوقف تعليمها أيضاً.

وإذا كانت مسئولية التربية الدينية أو إرضاء الآلهة تقع على عاتق رب الأسرة باعتباره أكبر الأعضاء سناً ، وأوفرهم خبرة ، واوثقهم اتصالاً بالأرواح ، فإنه لما توحدت الأسر لتكون قبائل وصارت الضرورة إلى العبادة الجماعية بين أفراد القبيلة ، ولهذا كان من وجود قائد للقبيلة يكون عادة أقوى الأعضاء وأكبرهم سناً وأكثرهم خبرة ، وكان واجبه الأساسى طرد الأرواح الشريرة وابتكار الرقصات وإعداد المراسيم والطقوس .. ، وكل ما يتربط بالعبادة ، ومن هؤلاء القادة تشكل جماعة الكهنة فى المجتمع البدائى ، باعتبارها جماعة مسيطرة على أسرار اللاهوت ، ولم يسمحوا للعامة بالاطلاع على أسرار هذه المعلومات ، وإنما كانوا حريصين على نقلها إلى الأفراد الذين يعدونهم لممارسة الكهنوت .

خامساً – طرق التعليم :

تعددت طرق التربية البدائية واشتملت على الطرق التالية :-

١- الطريقة العضوية :

وهى أول طريقة فى التربية البدائية وتستند هذه الطريقة إلى النظرية العضوية (نظرية دى لامارك ١٧٤٤ - ١٨٢٩ ، نظرية داروين ١٨٥٩) العضوية التى تقول أن الكائنات العضوية بما فيها الإنسان تطورت تدريجياً وكاستحابة للظروف التى أثرت على نموها وأن تكوينات جديدة ظهرت كتكيفات أو توافقات مع البيئة وإن هذه التكوينات كانت تنمو بالاستعمال وتختفى بعدم الاستعمال فقد تعلم شخص كيف يكشر عن انيابه وتعلم آخر كيف يقبض كفه ويهدد بها ، وتعلم ثالث أن يلقى بحجر وتبين لغيره ما تحدثه الصرخة أو الإشارة أو الإيمائة . هذه التكوينات أو الحركات أو مختلف أنواع السلوك كان لها فوائد ارضت منفذيها فاستمروا فى عملها وتعلمها ، بل ونقلوها إلى الأجيال التالية ، حتى أصبحت جزءاً مميزاً للجنس البشرى .

٢- طريقة التقليد اللاارادى :

وفى هذه الطريقة يتعلم الأطفال عن طريق التقليد اللاشعورى لمناشط الكبار والذى كان يتم معظمه فى صورة لعب ومن خلال ملاحظة الأبناء لأبائهم وملاحظة البنات لأمهاتهن فى كل شىء حيث كانت ألعاب الأطفال وتسلياتهم تقليداً مبسطاً لأدوات ولحياة الراشدين فهم يرمون إلى المياه الجارية قطعة خشب على أنها قارب ، كما صنع الصغار ما يشبه القوس والسهم ، واتخذت صغار البنات بعض المواد والأشياء وكأنهن يطهين طعاماً .

٣- طريقة التقليدى الادارى :

وفى هذه الطريقة يقف الكبار موقف المثال الذى يحتذى ، بل شملت هذه الطريقة تقليد الراشد لجار له أنجز عملاً بطريقة أكثر سهولة ، أو ابتكر طريقة جديدة ، ففى هذه الطريقة نجد فرداً يعمل وآخر يلاحظ ثم يقلده وكلاهما عارف بما يجرى .

٤- طريقة المحاولة والخطأ :

وقد اتبعت هذه الطريقة فى المواقف التى لا تتعارض مع مقدسات القبيلة وعاداتها ومحرماتها ، وفى الطريقة يقوم الفرد بمحاولة ما ، فإذا نجحت المحاولة أوكانت نتائجها سارة ، كررها فى المواقف المشابه وقام بتعليمها إلى الناشئة أو أقرانه ، وإذا فشلت أو كانت نتائجها مؤلمة نبذها وتركها .

٥- طريقة البث أو التثقيف :

وقد اتبع الكهنة هذه الطريقة عندما تولوا أمر تعليم الصغار وفى هذه الطريقة يسمح الصغار ما يقوله الكهنة ويقبلونه دون مجادلة أو مناقشة ، وقد أتبعت هذه الطريقة فى تعليم معظم المناشط الشكلية للعبادة، ماذا يفعلون وكيف يمارسونها ؟ فإذا قام أحد الكهنة بشرح أسباب سلوك دينى معين ، كان شرحه هذا أوامر مقدسة ، ليس من حق المتعلم الشك فيها أو الاستفسار عن محتوى هذه الأسباب أومصدرها .

وواضـح ممـا سـبق أن طـرق التربيـة البدائيـة التـى تطـورت مــن عضوية إلى تقليد لا شعورى إلى تقليد شعورى ثم إلى المحاولـة الخطـأ ثم إلى البـث العقـائدى ، قـد تطـورت أيضـاً مـن فرديـة فـى التعلـم إلـى اعتماد على ملاحظة الغير عن غير قصد ثم عن قصـد إلـى مجهـودات للبحث والكشف عما يصلح ، وأخيراً إلى تنفيذ ما يقال وعليه تقبله .

سادساً – المعلمون :

لم يكن فى العصور البدائية معلمون بالمعنى الذى نعرفهم بـه الآن إذ كانت الحياة بسيطة فى مضمونها وأسلوبها وبالتالى فإن تعليم النشىء أساليب الحياة وانماط السلوك لم يكن يبذل فيه جهد مقصـود ، بـل كـان يتم فى سياق الحياة اليومية نتيجة للاحتكـاك المباشـر بيـن الفـرد وبيئتـه وبمـا يقلـد فيـه الصغـار الكبـار سـواء فـى حرفهـم ومهنهـم أو تقـاليدهم ومثلهم أو قيامهم ببعض الأعمال أو تفاعلهم فيما يعيش فيه مجتمعهـم ، غير أنه بمرور الزمن لم تقف خبرات الإنسـان البدائـى عنـد هـذا الحـد حيث ظهرت فى المجتمـع البدائـى فئـات تجيـد بعـض الحـرف أو بلغـة العصـر بعـض التخصصـات فـى بعـض الحـرف البدائيـة ، كـأن يتقـن شخص صنع آلة أو أداة ويتفنن فى إعدادها مثل أدوات الصيـد أو آلات دبـغ الجلـود أو بعـض أدوات الحصـاد ... غـير ذلـك ممـا كــان شــائع الاستعمال فى تلك العصور ، ومن ثم فهو يشتهر بين قبيلته أو عشـيرته بمهـارة صنعهـا ، وهنـا يدفـع مواطنـوه إليــه بأبنــائهم يتتلمــذون عليــه ليحـترفوا – فيمـا بعـد – هـذه الحرفـة فـى حيـاتهم وكذلـك كـان الحــال بالنسبة لبعض الأشخاص الذين يشـتهرون بيـن أهلهـم بـالنواحى الدينيـة

وممارسة طقوسها فى المناسبات المختلفة فكانوا بمثابة رجال الدين أو الكهنة الذين عرفتهم العصور القديمة بأنهم المعلمون الأوائل للبشرية فى المجتمعات القديمة أو البدائية .

مما سبق يتضح أن التربية فى العصور البدائية كانت تحاول فى الغالب الإبقاء على ما هو موجود مجرد حماية وتأمين ثم أنسب إليها تدريجياً شىء من محاولة التغيير ولكنه كان محدوداً ، فالسلطة التربوية كانت للكهنه وطقوسهم وتعقيداتهم وسطوتهم ، فقد كانوا حملة مفاتيح التربية ... مفاتيح التغيير والتقدم .

(مراجع الفصل الأول)

١- بول مترو : **المرجع فى تاريخ التربية** الجزء الأول ، ترجمة صالح عبد العزيز - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٤٩ .

٢- **ديوبولد** ب فان دالين وآخرون : تاريخ التربية البدنية - ترجمة محمد عبد الخالق علام ، محمد محمد فضالى - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٠ .

٣- سعد مرسى أحمد : **التربية والتقدم** - ط٢ عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٧ .

٤- سعد مرسى أحمد ، سعيد اسماعيل على : **تاريخ التربية والتعليم** - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٢ .

٥- عبد الغنى عبود : **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٨ .

٦- عبد الحميد عبد التواب شيحة : **محاضرات فى تاريخ التربية وتاريخ التعليم فى مصر** - كلية التربية جامعة المنوفية - ١٩٩٠ .

٧- عرفات عبد العزيز سليمان : **المعلم والتربية " دراسة تحليلية مقارنه لطبيعة المهنة "** - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٧.

(الفصل الثانى)

التربية والتعليم فى العصور القديمة (الحضارات الأولى)

- الحضارات الأولى
- التربية والتعليم فى مصر القديمة
- مقدمة
- طبيعة الحضارة المصرية القديمة وخصائصها :

عوامل ازدهار الحضارة المصرية القديمة .

ملامح الفكر الدينى فى مصر القديمة .

الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة .

طبقات المجتمع فى مصر القديمة .

نظام الأسرة فى مصر القديمة .

- الزواج المبكر .
- كثرة الإنجاب .
- احترام المرأة وتقديرها .

نظام الزواج والطلاق فى مصر القديمة .

طبيعة التربية فى مصر القديمة واتجاهاتها .

- مكانة العلم والتعليم فى مصر القديمة .
- أهداف التربية والتعليم فى مصر القديمة ودوافعها .
- مراحل التعليم .
- مجالات التعليم ومحتواه .
- وكالات التربية ومؤسساتها .
- طرق التربية والتعليم .
- المعلمون .
- مراجع الفصل الثانى .

الحضارات الأولى : -

تحولت القبائل البدائية من حياة البربرية والهمجية إلى حياة الحضارة والثقافة وقد كان الطريق الذى سلكه الإنسان من البداوة إلى الحضارة طريقاً طويلاً شاقاً استغرق مئات الألاف من السنين ، تعلم الإنسان من خلاله أن يكيف نفسه للطبيعة ويسخرها لخدمته ويزيد من سيطرته عليها شيئاً فشيئاً ، ولقد اختلف المؤرخون ورجال الفكر على طبيعة المعايير التى يستدل بها على الانتقال من البداوة إلى الحضارة وقد تمثلت المعايير فى الآتى :-

١- أدعى البعض أن الحضارات الأولى بدأت بتحكم الإنسان فى قوى الطبيعة من نار ومياه ورياح وتوجيهها لإشباع حاجاته وتحقيق رغباته .

٢- وادعى البعض الآخر أن الإنتقال من البداوة إلى الحضارة بدأ باستخدام الآلات فى أداء مهامه فى الحياة ، فى رى الأرض من أجل زراعتها ، واستخدام الأشرعة والشباك فى تسيير السفن وصيد الأسماك.

٣- وأدعى البعض الثالث أن الحضارات الأولى بدأت بظهور الطبقات أو الطوائف الاجتماعية وضعف صلات الدم التى تربط بين القبائل والعشائر وزيادة فرص التضامن العضوى من خلال التخصص وتقسيم العمل ، فظهرت طبقة رجال الدين ، وعملها الدفاع ضد الأعداء غير المنظورين ، وطبقة الجند ومهمتها الدفاع ضد الأعداء المنظورين، وطبقة العمال والمنتجين وعملها الوقاية من أخطار الجوع.

٤- وأدعى بعضهم أيضاً أن الحضارات الأولى بدأت بظهور الكتابة فلقد كانت الأعراف والتقاليد والمعتقدات الدينية تحفظ شفاهة فلما ظهرت الكتابة أمكن حفظ هذه الثقافة وبالتالى توفر منهج منظم يمكن أن يدرسه التلاميذ فظهرت المؤسسات التعليمية باعتبارها وسيلة لنقل هذا التراث إلى الناشئة .

وإذا كان من الصعب تحديد مكان أولى الحضارات ، فإن هناك شبه إجماع على أن أولى الحضارات التى أثرت فى مجرى حوادث التاريخ تأثيراً مباشراً كانت تلك التى ظهرت فى الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط وعند ضفاف النيل السفلى وكذا فيما بين نهرى دجلة والفرات حيث فاضت تلك الوديان الخصبة على ساكينها بالقمح والشعير والأرز والتمر والخضروات وغيرها من الحاصلات

الزراعية، كما كانت سبل صيد الأسماك والحيوانات ميسرة .. وهكذا كانت تلك الظروف المعيشية المواتية سبباً فى خلق بيئات سكانية ، كما ظهرت الحاجة إلى التعاون فى القيام بالمشروعات العمرانية ، ولهذا تعرف غالباً الحضارات الشرقية التى نشأت قديماً فى مصر وفى بلاد ما بين النهرين بأنها " حضارات الأنهار " ، كما اشتهرت مصر بأنها " هبة النيل " .

وتنقسم الحضارات الشرقية القديمة إلى أربعة أقسام هى :

١- الحضارات السامية : وتشمل حضارات البابلين والأشوريين والحبشيين .

٢- الحضارات الحامية : وتشمل حضارات المصريين والكربتين.

٣- الحضارات الارية : وتشمل حضارات الهند والفرس .

٤- الحضارات الطورانية : وتشمل حضارات المغول والصين .

وسوف نكتفى بدراسة إحدى الحضارات القديمة ونختار الحضارة المصرية القديمة باعتبارها نموذجاً أو نمطاً مثالياً للتربية فى المجتمعات الحضارية القديمة .

– التربية والتعليم فى مصر القديمة –

مقدمة :

على الرغم من أن المعروف – عموماً – عن مصر أنها أصل الحضارة فإنه حتى وقت قريب لم يكن التاريخ القديم لها قد تكشف بعد سوى ما جاء فى الكتاب المقدس أو ما كتبه بعض الكتاب الاغريق فرغم أن الكتابات الهيروغليفية اكتشفت مسجله على أوراق البردى وعلى الأحجار ، إلا أن طلاسمها كانت غامضة حتى عثر جنود الحملة الفرنسية فى عام ١٨٠٠ م على حجر رشيد المشهور ، والذى نقشت عليه رسالة بلغات ثلاث كانت اللغة اليونانية أحداها فأمكن بذلك ترجمة الكلمات الهيروغيليفية ، ويرجع البعض تاريخ الآثار القديمة إلى حوالى ٥٠٠٠ عام قبل الميلاد ونظراً للجو الجاف فقد احتفظت بحالتها لدرجة تدعو إلى العجب ، على أن التاريخ المدون عن مصر يبدأ من عام ٤٢٤١ ق . م .

ويقسم تاريخ مصر القديمة إلى ثلاث دول : الدولة القديمة وقد استمرت هذه الدولة من ٣٥٠٠ ق . م إلى ٢٦٣١ ق . م ، وشملت الأسر من الأولى إلى السادسة وأعقبتها فترة من الفوضى ، وجاءت بعد ذلك الدولة الوسطى واستمرت من ٢٣٧٥ ق . م إلى ١٨٠٠ ق . م وشتملت الأسر من الحادية عشرة إلى الرابعة عشرة ، وكان من أشهر ملوكها سنوسرت الأول الذى حفر قناة تصل بين النيل والبحر الأحمر وصد هجمات النوبيين ، وقد انتهت الدولة الوسطى بفترة من

الفوضـى والنزاع على الحكم حتى غزا مصر الهكوس ، واستطاع هؤلاء الرعاة الاسيويون أن يقضـوا على كثير من مظاهر الحضـارة المصرية كما حرقوا مدنا ونهبوا ثروات كثيرة . أما الدولة الحديثة فقد بدأت بطرد الهكسوس على يد أحمس ، ويشمل عصر الدولة الحديثة الأسر من الثامنة عشرة إلى العشرين واستمرت من ١٨٥٠ ق . م إلى ١١٠٠ ق.م ومن ملوك هذه الدولة تحتمس الأول وتحتمس الثانى والملكة حتشبسوت .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القدماء المصريين قد عاشوا حول شاطئ نهر النيل منقسمين أقساما ولكل قسم شعار واحد ، ورئيس واحد، وإله واحد حتى جاء وقت أتحدت فيه بعض الأقسام مع بعضها البعض ثم تكونت مملكتان أحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب ، ويعزى إلى مينا أنه وحد القطرين وأسس عاصمة له فى منف ، وأعلن قانوناً عاماً أوحى إليه به الإله توت .

طبيعة الحضارة المصرية القديمة وخصائصها :

يتفق معظم دارسى الحضارات القديمة على أن القدماء المصريين قد شيدوا حضارة عظيمة حظيت بإعجاب العالم حتى اليوم ، ولقد اعان على تشييد تلك الحضارة المزدهرة عوامل كثيرة منها :

١- النيل الذى يفيض بانتظام وتترك مياهه المثمرة طبقة من الطمى تعين على اخصاب الأرض ولذلك شاع فى كتابات الكثيرين ذلك القول الذى ردده " هيرودوت " ، وذهب فيه إلى أن " مصر هبة النيل "

بمعنى أنه هو المصدر الحقيقى لكل ما نعمت به من خيرات وما شهدته من مؤسسات وأعمال . إلا أن مزيد من التأمل المتعمق يؤكد على أن مصر ليست هبة النيل فقط ولكنها هبة أهلها عندما أحسنوا استغلال نهر النيل ، ولا يعنى هذا أننا ننكر الأثر الكبير للنيل على مصر ، ولكن ما نريد أن نؤكد عليه هو أن الحضارة المصرية كانت محصلة التفاعل بين الجهد البشرى المصرى وبين معطيات البنية الجغرافية فليس توافر النيل وحده يمكن أن يحدث ما حدث وإنما أيضاً هو الإنسان الذى فهم ووعى وأدرك فتحرك وعمل واجتهد وأثمر .

٢- المناخ المناسب حيث تقع مصر فى جزء منها بالمنطقة الحارة ويتميز الأقليم كله بمناخ معتدل وهو ما كان عامل مساعد فى قيام العديد من الأنشطة التى اسهمت فى تشكيل الحضارة .

٣- استقرار مصر نتيجة لاحاطتها بالصحراء التى جعلتها بمأمن من الغزو ، واحاطتها بالبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر مما أعان على قيامها بالتجارة والاتصال بالأقاليم المجاورة ، فإذا نظرنا إلى مصر من الخارج - كما يشير جمال حمدان - فسوف نجد أنها واحة صحراوية أو بالأخرى شبه واحة فى محيط الصحراء حيث تبدو كعالم واحد متناه صارم الحدود والمعالم ملمومة فى نفسها متماسكة ، كما أن الصحراء تعد مصفى للترشيح وماصة للصدمات فى وجه الغزوات والهجمات كما أنها باعدت بين بعضها البعض بحيث نظمت تدفقها واستبعدت إلى حد معين عنصر الاضطراب والقلق الفجائى من حياة الوادى ، فساعدت بذلك على تحقيق التجانس البشرى فى سكانه

انثربولوجياً وحضارياً ، وعلى اضطراد نموه وتكونه الاجتماعى والسياسى كما أن ضآلة مساحة المعمور المصرى أدى إلى تسهيل الوحدة الوطنية بما توفر من تجانس بشرى وتشابه فى طرق الحياة والتفكير وتقارب فى الجوار وتشابك فى المصالح .. فضلاً عن سهولة الضبط والربط ، فالرقعة السياسية لمصر مليون كيلو متر مربع ولكن مساحة الوادى المعمور لا يتعدى ٣٥,٠٠٠ كم٢ فقط بالنسبة ٣,٥٪ ، ومن الصعب أن يتصور كيف يمكن أن تتوفر فيها فرص للتنافر أو التعدد البشرى .

ملامح الفكر الدينى :

لم توجد قوة فى حياة الإنسان القديم كان تأثيرها متغلغلاً فى جميع أوجه نشاطه ، كما كان الأمر بالنسبة للدين فى حياة المصرى القديم ، حيث يقول هيرودوت أن المصريين من أكثر الشعوب تديناً ولا نعرف شعباً بلغ فى التدين مبلغهم ، أن صورهم ونقوشهم تمثل أناساً يصلون أمام إله وكتبهم وآثارهم عبادة ونسك " .

ويمكن تحديد سمات الديانة المصرية القديمة فى النقاط التالية :-

١- اختلفت عقائد المصريين القدماء باختلاف الأقاليم فكان لكل إقليم إله يعبد فيه .

٢- استمدت مكانة الإله من مكانة الإقليم الذى يعبد فيه .

٣- كانت الكهانة جزءاً جوهرياً من النظام الدينى المصرى ، وكان الكهان يختارون بعناية ويعدون للإطلاع بأعمال الكهان .

٤- كان الكهنة طبقات مختلفة فهناك طبقة الكهان العليا ، وطبقة مساعدى الكهان وطبقة الكهان الدنيا ، وطبقة المنشدين ، كما تشير بعض البرديات إلى أن النساء كن يشتغلن بالكهانة ، ولقد احتلت بنات الأسر العظيمة وظائف كهنوتية عليا ، وفى عصر الدولة الحديثة كانت الملكة تعرف بالسيدة المقدسة وكانت هى الكهانة الأولى لمعبد الإله آمون .

٥- لم يعرف النظام الدينى المصرى القديم قبل اخناتون عقيدة التوحيد فالبرغم من زيارة إبراهيم الخليل ويوسف الصديق لمصر ، ظل القدماء المصريين يعبدون الهة متفرقة ، ويقال أن الملك مينا دعا إلى عبادة إله واحد هو الإله الأعظم هورس خليفة أوزوريس .

٦- قدس القدماء المصريين الحيوانات حيث اتخذ كل اقليم أو قسم حيوانا يطعمه إلى جانب الإله الخاص به وقد قدس كل قسم حيوانه أما رهبة منه فيتقى شره أو رغبة فى استرضائه لما يجلبه له من خير ، وقد اعتقد المصريون بأن الحيوانات التى عبدوها قد حلت فيها أرواح الآلهة ، التى كان عليها أن تسكن جسداً تتجسد فيه عند هبوطها إلى الأرض ، فالنسر مثلاً لم يكن هو نفسه هورس الإله ولكنه مأوى لبعض أسرار هورس ، على أن عقيدة التجسيد هذه لم تقتصر على تجسد الإله فى حيوان ، فتارة تجد هورس متجسداً إنساناً له رأس نسر أو نسر له رأس إنسان ، ثم أحل المصريون القدماء روح الإله فى أكثر من حيوان فتارة فى عجل وأخرى فى تمساح وثالثة فى قط ورابعة فى طائر وتطور الأمر إلى أن أصبحت العبادة لا تقتصر على حيوان واحد

من بين القطط مثلاً ولكنهم عبدوا القطط جميعاً ، كما عبدوا شجرة الجميز والنخلة وقدموا للشجر قرابين من الخيار والعنب والتين .

٧- آمن المصريون القدماء بأن الحيوانات التى عبدوها - كذلك بعض النباتات كالأشجار التى حلت فيها أرواح الإله - تعلم الغيب وتثيب وتعاقب بل أنها تتكلم لتنقذ شخصاً على وشك الهلاك فبعض البرديات تشير إلى أنه بينما كان فرعون جالساً ذات مرة مع زوجته التى كان يحبها حباً جماً تحت إحدى الشجرات المقدسة فى سرور وسعادة ، إذ بالشجرة تنحنى على الملك وتسر فى أذنه أن زوجته خائنة.

٨- اعتقد المصريون منذ أقدم العصور أن للإنسان روحاً وإن هذا الروح لا يموت بموت الجسد بل بعد ذلك حياة أخرى وقد كان اعتقادهم هذا هو السبب الأول فى أنهم بنوا بنياتهم الكبيرة والقبور المتينه ، الأهرامات الضخمة ، تحنيط الجثه والإكثار من التماثيل الحجرية مع الميت فى قبره ، فقد كان الغرض من هذا كله حفظ الجثة من الفناء لكى يجدها الروح كلما دخل عليها القبر ، فإذا تعفنت وأكلها البلى ، فالتمثال يقوم مقامها ، وإليه يرتاح الروح ، وقد يفنى تمثال ويبقى آخر، ولهذا استكثروا من التماثيل فى القبور ، حتى إذا فنى بعضها بقى البعض الآخر .

٩- اعتقد المصريون القدماء فى وجود حياتين هما الحياة الدنيوية والحياة الأخروية ويجازى فيها المحسن على إحسانه ويعاقب فيها المسئ على إساءته .

١٠- اعتقد المصريون كذلك في خلود الإله الذى يحل فى جسد فرعون ، وذهب فرعون مصر إلى أنه صورة مجسدة للإله العظيم سيد السماء ، وقد عبد المصريون الفرعون حياً حتى كان أشدهم قرباً منه وأكثرهم حظوة ينال شرف شم قدس فرعون ، ولكن هذه العقيدة ، واجهت عدداً من المشكلات نتيجة موت الفراعنة ، فقد ذهل المصرى القديم عندما وجد الفرعون يموت والإله حق عليه ما يقع على كل إنسان وقد ظنوه خالداً . ورغبة فى التوفيق اعتقد المصريون أن روح الإله الأعظم هورس مؤلفة من شقين هما الروح العليا التى تحكم السماوات والأرض والروح التى تحل فى بدن فرعون وبقاء الروح الثانية مرهون ببقاء الجسد ومن هنا كان حرصهم على تحنيط جثث الفراعنة وبناء الأهرامات للمحافظة على أجسادهم على مر الزمن ، كما أفتى الكهنه بأن جسد الفرعون إذا مات خرج السر الإلهى أو الروح المقدس ليحل فى جسم ابنه على أن الفرعون بعد موته يظل ينصح ابنه الحى ويوجهه فى أمور الحكم من مكان إقامته فى مملكة الموتى " مملكة أوزوريس " .

١١- من الثابت تاريخياً أن اخناتون دعا الناس إلى عبادة اله واحد هو " أتون " ليس له مثيل ، وصورة بهيئة قرص الشمس يرسل أشعته على الكون ممتدة بآية بشرية فتفيض على الخلق بالجو والعافية ، وقد وصفه على أنه الإله الحى المبدى المعيد المالك الذى لا شريك له خالق الجنين وخالق النطفة وتسبح باسمه الخلائق على الأرض والطيور فى السماء ، وهو الذى بسط الأرض ورفع السماء وأسبغ عليها الجمال

وهو موجود فى كل مكان هو ليس فى مصر وحدها وإنما فى البلاد الأخرى وهو الذى خلق الناس والأنعام كبيرها وصغيرها .

- الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة :-

الحديث عن الحياة الاجتماعية يقتضى تناول بعض العناصر الأساسية عن هذه الحياة وتشمل :-

أ- طبقات المجتمع .

ب- نظام الأسرة .

جـ- نظام الزواج والطلاق .

أ- طبقات المجتمع :-

لم يكن فى مصر القديمة نظام طبقى بمعنى أن يتحكم ميلاد الفرد فى وضعه فى طبقة معينة لا يستطيع الخروج منها ، فعلى الرغم من وجود تباين وتفاوت بين أفراد المجتمع ووجود طبقات معينه وعلى الرغم من أن الابن كان يزاول مهنة أبيه فى أغلب الأحوال ، فقد كان من الممكن لأى شاب يمتلك مواهب مناسبة أ يحتل مكاناً أرفع مما وصل إليه أبوه ، وقد يصعد إلى أعلى الوظائف أو بمعنى آخر لم تكن هناك حدود فاصلة تماماً بين الطبقات إذ كان من الممكن أحياناً الإنتقال من طبقة إلى أخرى اعتماداً على المواهب والمؤهلات ، إلا من الإنتساب لأسرة الفرعون الذى إلهه المصريون فى أوقات من تاريخهم .

والواقع أن المجتمع المصرى القديم كان فى أول أمره مكون من طبقتين بينهما فرق واضح طبقة عليا هي الحاكمة على رأسها فرعون وأسرته وحاشيته ، ومن حولهم كبار موظفى الدولة وأمراء الأقاليم وكبار الكهنة ، وقد سيطرت هذه الطبقة على موارد الثروة ، وكانوا يعيشون عيشة ترف ورفاهية كما نالت هذه الطبقة حظها من التربية والتعليم فى أرقى معاهد العلم والمعرفة يومئذ ، بل أن بعض أبناءها كانوا يرسلون إلى القصر الملكى ليتربوا ويتثقفوا بين أمراء القصر من أبناء فرعون بحيث أصبحوا أهلاً لتولى المناصب العليا وجميع وظائفها الهامة .

أما الطبقة الدنيا فهى الطبقة الكادحة التى تكونت من عمال الزراعة والصناعة والصيادين والفلاحين والرعاة والخدم وجميع أصحاب الحرف الذين يعملون فى الخدمات العامة والخاصة . وهؤلاء كانوا يمثلون الكثرة الساحقة من سكان هذا الوطن يعيش معظمهم فى القرى المتناثرة على طول الوادى يمارسون حرفهم التقليديه من زراعة وصناعة ورعى وملاحة وكان أفراد هذه الطبقة من أرق الطبقات حالاً سواء فى المسكن أو المأكل أو المشرب .

ومع تقدم الحياة نشأت بين الطبقتين طبقة ثالثة وهى طبقة وسطى كان قوامها صغار الموظفين والتجار وأصحاب الحرف الممتازة وقد كان أفراد هذه الطبقة أحراراً فى مزاولة ما يستطيعون من عمل مشروع كما كانوا يملكون حرية الهجرة من مدينه إلى أخرى . إذا ما طاب لهم ذلك ، وقد دأب أهل هذه الطبقة على إرسال أولادهم فى سن

مبكرة إلى المدارس التابعة لمصالح الحكومة وغيرها من مدارس أعداد الموظفين لتأهيل أنفسهم لمهنة الكاتب والحياة التى تقتضيها ظروف وظيفته .

ب- نظام الأسرة :

أعلت الوصايا والحكم من شأن الأسرة ودورها فى التنشئة الاجتماعية وقد تميزت الأسرة المصرية القديمة بما يلى :

- **الزواج المبكر :** فحياة المصريين لم تعرف الرهبنة التى عرفت فى الدين المسيحى وكان الزواج عند المصريين عنصراً ضرورياً من عناصر بناء الحياة ، من الأمور التى لا غنى عنها فى حياة الأفراد ، حيث كان بقاء الرجل أعزب أمراً نادراً ، وقل أن نجد مقبرة لرجل لم يذكر فيها اسم زوجته أو ترسم صورتها إلى جانب صورته على جدرانها ، كما أشارت البرديات إلى أنه لم يكن هناك سن محددة للزواج على الرغم من أن المصريين كانوا يفضلون أن يكون الزواج فى سن مبكرة ليتيسر لهم الوقت الكافى لتربية الأطفال كما اعتقدوا أن الزواج المبكر فيه صيانة للشباب وأنه خير حل لمشاكل المراهقة وما ينشأ عنها من عقد وانحرافات ، فالحكيم " بتاح حتب " يقول لابنه وهو يعظه " يا بنى اتخذ لنفسك زوجة وأنت صغير ، حتى تنجب لك ولداً تقوم على تربيته وأنت فى شبابك ، وتعيش حتى تراه وقد اشتد وأصبح رجلاً " .

– **كثرة الإنجاب :** أثر عن المصريين منذ عصورهم القديمة شدة الحرص على إنجاب الأبناء وتمنى الكثرة منهم ، فالإكثار من الأولاد كان هدفاً يبتغون ويسعون إليه ويعملون على تحقيقه وقد كان الشغف الواضح من مختلف طبقات المصريين بإنجاب الأبناء أثراً لثلاثة عوامل رئيسية: هي التكوين الاجتماعى والحرفى الغالب فى مجتمعهم، والشعور بالطمأنينة إلى المستقبل المعيشى (الاقتصادى) الذى كفلته بيئة البلاد من ناحية وروح التدين الغالبة من ناحية أخرى ، ثم ارتباط سعادة الآخر لدى المصرى القديم بالولد الذى يكفل استمرار أداء الطقوس الدينية باسمه بعد وفاته .

وقد أدى حرص المصريون على إنجاب الأطفال ، إلى حرص مضاعف على محاربة العقم ومحاولة معرفة السر فى خصب المرأة أو عقمها ، واستخدموا عدة طرق لتشخيص الحمل ومعرفة جنس الجنين ، وكان من أطراف هذه الوسائل أن ينقع فى بول الحامل قليل من القمح وقليل من الشعر فإذا خرج النبات عموماً فهى غير عقيم ، فإذا نبت الشعير كان الجنين ذكراً ، وإذا نبت القمح كان الجنين أنثى ، ويعلل البعض ذلك بأن المصريين ظنوا أن البول يتصل بالجنين وأنه يؤثر فيه أو يتأثر به . كما ضمت إحدى البرديات الكثير من الملاحظات لتميز العقيمات من النساء والتكهن بجنس الجنين وكانوا يعتمدون فى ذلك على ملاحظة الثديين أو لون البشرة والعينين ثم على السحر واستخدام التعاويذ .

- احترام المرأة وتقديرها :

كان للمرأة فى مصر القديمة مكانة مساوية للرجل ، فلها جميع الحقوق وعليها جميع الواجبات ، فقد كان المصريون أول من آمن برسالة المرأة ودورها فى المجتمع ، فقدروها وأعطوها حقوقها ومنحوها جانباً كبيراً من الحرية ، كذلك مارست المرأة المصرية الكثير من الحقوق على قدم المساواة مع الرجل، فكان لها حقوق الوراثة والشهادة والتمليك والتعاقد وكافة حقوق المعاملات ، كما كان مسموحاً لها بالحكم كما هو الحال مع حتشبسوت وكليوباترا ، كما اعترف للمرأة فى جميع مراحل حياتها بفضلها وكرم شمائلها ، فإيثار المصريين للولد على البنت لم يكن واضحاً لديهم وضوحه لدى غيرهم من الشعوب الأخرى ، فكما كان يقدم لاسم الابن إذا صور أو مثل مع أبيه بعبارة "ابنه حبيبه " كذلك كان يقدم لاسم البنت إذا صورت أو مثلت معه بعبارة " بنته حبيبته " وإذا صورت مع أمها قيل أنها " بنتها وحبيبتها " وعلى نحو ما كان الأب يحرص على أن يشرك ولده معه فى متعة الصيد كذلك كان يحرص على أن تصحبه بنته أو بناته كما لم يكن يستفاد من البنين وحدهم فى أعمال الحقول وإنما كان يشترك فيها البنات أيضاً .

كما كان المصريون القدماء من أحرص الناس على إسعاد زوجاتهم ومعاملتهن بالحسنى وقد عدد الحكيم " بتاح حتب " بعض الواجبات الزوجية فى تعاليمه وأوصى بآدائها قائلاً " إذا كنت عاقلاً فأسس لنفسك داراً ، وأحبب زوجك حباً جماً ، وآتها طعامها ، وذودها

بالثياب وقدم لها العطور ، لينشـرح صدرهـا مـا عاشـت ، فهـى (أى الزوجـة) حقل مثمـر لصاحبـه ، وإيـاك ومنازعتهـا ، ولا تكـن شـديداً عليها ، فباللين تستطيع أن تمتلك قلبها وأعمل دائماً على رفاهيتها ليدوم صفاؤك وتتصل سعادتك " ، وكـان الـزوج لا يتوانـى فـى بـذل كـل مـا يستطيع من نفقات فى سبيل علاج زوجته إذا هى مرضت وكـان – إذا ماتت – يحيط جنازتها ومدفنها بكل مظاهر التكريم ويقـدم لروحهـا كـل ما يتوهم أنها تشتهى من قربان ، وكان حزن الرجل على زوجته يطول ويتجدد كلما ذكر حياتهما المشتركة وسعادتهما التى ولت .

كذلك كان المصريون يدعون إلى حب الأم والعطـف عليهـا والبر بهـا والإحسـان إليهـا ، ويذكـرون أولادهـم بفضـل الأم عليهـم وبأهميـة رضاها عنهم ، فمن كلمات الحكيم " آنـى " لابنـه ضـاعف كميـة الخبز التى تقدمها لأمك ، احتملها كما احتملتك ، أنها عندما ولدتك بعد شـهور من حملك استمرت تحملك حول عنقها ، ثم أعطتك ثديها ثلاث سنوات أنها لم تتقزز يوماً من قذرك ، أنهـا لـم تقـل يومـاً لـم فعلـت ذلـك ، لقـد أخذتك إلى المدرسة إلى حيث تتعلم الكتابة وانتظرتك هنـاك كـل يـوم ، ومعها الطعام والشـراب الـذى أحضرتـه مـن المـنزل ، فـإذا مـا شـببت واتخذت لك زوجاً وأصبح لك بيت خاص فلا تنسـى أمـك التـى حملتـك وزودتك بكل شـىء ، فـإنك إن نسيتها كـان لهـا الحـق فـى أن تغضـب عليك وأن ترفع يديها شاكية إلى اللـه وسـوف يسـتمع اللـه لشـكواها " . وقد حرص كثير من الأبناء على وضع صور أمهاتهم بجانب زوجاتهم، كما كانت فى صور الحياة المنتشرة على صفحات القبور .

جـ- نظام الزواج والطلاق :

أوضحنا أن الزواج عند المصريين كان عنصراً ضرورياً من عناصر بناء المجتمع وقد عرف المصريون القدماء أكثر من شكل من اشكال الزواج ، فكان هناك الزواج الواحدى وتعدد الزوجات والأزواج واتخاذ الجوارى والمحظيات اللاتى كن يعشن فى البيت مع الزوجات ، وقد تم تسجيل الزواج من خلال العقود وتسجيلها فى المعابد خاصة فى العصور المتأخرة وقد كانت هذه العقود كتابية مدنية كسائر العقود ومبنية على حرية التعاقد ، ولربما اشترطت الزوجة فيها ضمانات مالية تدرأ عنها خطر انفصال الزوج ، وكان المألوف أن يكون للرجل زوجة شرعية واحدة ، أما تعدد الزوجات فمع إباحته فى شريعة ذلك العهد ، إلا أنه قد حددته الظروف الإقتصادية فاضحى مقصوراً على الأسرة المالكة وطبقة النبلاء .

كما عرف المصريون القدماء الطلاق والذى كان يخضع لشروط معينة وبخاصة بعد أن أصبح الزواج يتم فى المعابد بطريقة رسمية ومن شروطه أن يكون بالزوج أو الزوجة عيوب خلقية أو خلقية تحول دون الزواج الناجح وكان الطلاق يتم بناء على ترديد بعض الكلمات كأن يقول الزوج لزوجته " لقد طلقتك " أو " اتخذى لنفسك زوجاً آخر " .

طبيعة التربية فى مصر القديمة :

أولاً : مكانة التعليم والتعليم فى مصر القديمة :

حظى العلم والتعليم بمكانة عظيمة عند المصريين القدماء ويستطيع أقل الناس معرفة بحياة المصريين وأدابهم أن يدرك مقدارّ ما كان للعلم وأهله عندهم من قيمة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها بلغت مراتب التقديس ، فقد رأوا فى المعرفة ربا يعبد سموه " توت " حيث كان توت فى عقيدة المصريين ، ملهم الحكمة ورسول العلم ورب السحر وأمين السماء ، هو الذى ابتدع اللغة وبلغ الكلمة وأحكم دورة الزمن وصنع التقويم وسطر القوانين وحدد العدد وعلم الحساب ، وهو الذى يرعى الكتاب (أصحاب العلم والمعرفة) ويحميهم وهو الذى يبتهل إليه المعلمون ويضرع إليه طلاب المعرفة وعشاق الثقافة أن يتولاهم برعايته ويؤيدهم ويلهمهم الحكمة والمعرفة ، كما عرف المصريون إلى جانب " توت " ، ربة للكتابة والتسطير سموها "سشات" وكانت موكلة بالتسطير والتسجيل والحساب ، كما كانت ربة خزانة الكتب .

وقد اعتبر المصريون معرفة الرسم والتسطير مظهراً من مظاهر النشاط الإلهى الخلاق ، وأمنوا بما للكلمة والصورة من قوة خلاقة فبالصورة يرسم الشيء فيصبح له الكيان وبالكلمة يحدد معناه فيصبح له فى مجال المعرفة مكان ، فما لا اسم له لا وجود له ومن هنا جاء تقدير من يكتب لأن الكتابة عندهم كما نرى شيء عظيم جداً ، ولعل من أبلغ

الأدلة على تقديس المصريين للكتابة تقديسهم لأدواتها (القلم والدواة) واعتبارها زينة ووسام من أوسمة الشرف يجمله عليه القوم وبه يفخرون ، وهذا معلم يوصى تلميذه فيقول " اعلم أن صنعة الكتابة تقع لمن يحذقها من أى صنعه ، بل هى تغنى عن الخبز والجعة والثوب والطيب ، ثم هى أجلب للسعادة من ميراث الدنيا ونعيم الآخرة .

وخلاصة القول أن المصريين لم يروا فى التعليم لوناً من ألوان الترف ، ولكن كان التعليم عندهم ضرورة من ضرورات الحياة ، فالولد الجاهل كان حملاً ثقيلاً على كتف أبيه ، كان له مصدر تعاسة وشقاء فى حياته ، يطأطأ الرأس خجلاً من بنوته ويضيق به حتى ليتمنى له الموت أحياناً فى حين كانت الفضيلة فى تعليم الأولاد ، لينقذوا أنفسهم من الجهالة والضلالة ، وليغلوا عن ذواتهم قذر الجهل وليوقوا أبائهم وذويهم كل حرج وضيق ، ولينفعوا أنفسهم وأبنائهم ليؤدوا رسالتهم فى الحياة ، وينظروا الجزاء على ذلك فى الآخرة .

ولذلك كان يقال للصبى :

" لا تكن بغير لب كمن لم يتعلم " وقولهم " أن الأحمق من عدم المعلم " " من لم يعلمه أبوه كان تمثالاً من حجر " .

ثانياً : أهداف التربية والتعليم فى مصر القديمة :

يشير عبد العزيز صالح إلى أنه يمكن إجمال دوافع التعلم فى مصر القديمة إلى ثلاث دوافع هى :

دافع التعلم للانخراط فى سلك الهيئة الحاكمة .

دافع التعلم لخدمة المطالب الدينية أو لاكتساب نصيب من العلم الدينى .

دافع التعلم تقديراً لمكانة العلم وكرامته .

١- التربية كوسيلة للانخراط فى سلك الهيئة الحاكمة :

فقد كان من الواضح أن تعلم الكتابة فى مصر القديمة يكفل لصاحبه مركزاً اجتماعياً مرموقاً ، ويفتح له أبواب الأدارة الحكومية ، فقد كانت حكومة مصر المنظمة فى حاجة إلى موظفين متعلمين للقيام على خدمتها ، ولذلك ارتبطت الوظيفة بشرط تعلم الكتابة والقراءة والحساب ، الذى كان يعفى المتعلم من أعمال السخرة ويصل به إلى وظائف الكتاب والقضاة والمهندسين ورؤساء بيوت الزراعة وحكام الأقاليم والأطباء والكهنة ، إلى حد تميز الأمة رغم وحدتها إلى فريقين فريق الحاكمين : وهم المتعلمون الذين عرفوا الكتابة والكتب فتفتحت لهم تبعاً لذلك أبواب الإدارة ، ثم فريق المحكومين وهم الذين حرموا من العلم فحرموا بذلك من الاشتراك فى شئون بلادهم واضطروا إلى الخضوع لتوجيهات غيرهم .

وقد زاد من أهمية هذا الهدف والدافع للتعليم أن الحكومة كانت قادرة على استيعاب كل متعلم فى وظائفها خاصة فى عصور التوسع الخارجى وفى عصور الدولة الحديثة بصفة خاصة ، وذلك نتيجة للنشاط الكبير فى إعداد الجيوش وما كان يتبعه من تقييد ومراسلات واصدارا أوامر وصرف مؤن ...... الخ ، ثم الإهتمام بتنظيم شئون

الحكم فى البلاد التابعة مع كثرة التراسل مع امرائها وأمراء بقية الأقطار الخارجية ، كما زاد من أهمية هذا الدافع الرغبة فى التخلص من أعمال الخدمة الإجبارية ومن تكاليف الضرائب . حيث كانت الحكومة تعفى المتعلمين من السخرة والضرائب فى الوقت الذى لم تكن تعفى فيه مواطناً آخر منها ويعتقد البعض أن الحكومة كانت تلجأ إلى ذلك تشجيعاً منها على التعلم وحرصاً منها على كرامة موظفيها ، كما يحتمل أيضاً أنها أقدمت على ذلك حرصاً على عدم تعطيل أعمالها الرسمية ، إذ كلف الموظفون بأعمال السخرة بين الحين والآخر .

ونقدم فيما يلى بعض أقوال الأباء والمعلمين فى تصوير مستقبل الكاتب أو المتعلم وفى تصوير التفرقة بينه وبين من حرم التعلم .

" لاحظ أنه ما من مهنة تخلوا من مهيمنين ، فيما عدا الكتبة فهم أنفسهم المهيمنون " .

تمتهمن جمهرة الناس وتفرض عليهم الضرائب ما خلا الكاتب فهو الذى يصرف الناس جميعهم والضرائب بالنسبة له فى عمل الكتابة .

" اعمل على أن تصبح كاتباً ، فذلك يعفيك من الكدر (التكاليف) وتتقى كل عمل يدوى وحتى لا تصبح خاضعاً لموالى كثيرين أو خاضعاً لرؤساء عديدين " .

" وجه وجهك لتصبح كاتباً ، ولتصبح المرتبة الطيبة من نصيبك ، وحينئذ إذا ناديت واحداً لباك ألف " .

٢- التربية كوسيلة لخدمة المطالب الدينية ، أو لاكساب الفرد نصيب من العلم الدينى :

اتضح عند الحديث عن ملامح الفكر الدينى أن شعب مصر القديمة قد اهتم بالدين والآخرة أكثر من أى شعب آخر وهو ما كان له أثراً واضحاً فى إقبال بعض طوائف المصريين على التعليم فاعتقاد المصريين بما يمكن أن تسهم به النصوص الدينية المكتوبة فى تحقيق السعادة لأصحابها فى الحياة الأخرى ، ساعد على تكوين طائفة من المتعلمين (أو انصاف المتعلمين) لكتابة ونقش هذه النصوص على جدران معابد الشعائر الملكية والمقابر الخاصة على سطوح التوابيت ، كما أن اعتقاد المصريين فى آلهتهم (العلم والمعرفة) ، وتصورهم أنهم لن يتخلوا عن تقديرهم للعلوم والمعارف (المواضعين لأصولها) وللاخذين بها فى الحياة الآخرة ، أدى ذلك إلى حرص بعض المتدينين أو المثقفين على التزود من مناهل العلم ، باعتباره نوعاً من التقيد فى الدنيا وقرباناً يتقربون به إلى الآلهة فى الآخرة ، فكان الداعى إلى الدراسة يعتبر نفساً داعياً إلى أقوال الرب وكان المنصرف عند الدراسة يعتبر منصرفا عن أقوال الرب .

ولذلك كان الكاتب يعتبر نفسه تلميذاً للإله " تحوتى " نفسه (اله العلم والمعرفة) وتابعاً له " مهنته هى مهنته ، وأصبعه هو منقاره ، ويرى من الواجب عليه أن يذكره كلما تهيأ ليكتب بقلمه وكان الكتبة يحتفظون بتماثيل " تحتوتى " فى دورهم ومكاتب أعمالهم ربما ليلهمهم

وحيه أو ليستظلوا برعايته وكانوا يستنصرونه ضد من يمس كتاباتهم الأدبية بسوء .

وهكذا فتحت المعتقدات الدينية فى مصر القديمة عدة أبواب للتعلم قصدها فريق من الناس ابتغاء كسب الرزق وقصدها البعض الآخر ابتغاء ارضاء الآلهه وضمان سعادة الآخرة ، وفى ذلك ما يقرب بين أثر التدين المصرى القديم وبين أثر التدين الإسلامى فى الحض على طلب العلم وفى ايثار المتدينين توجيه أبنائهم إليه وأن كانت ظروف الحياة كثيراً ما تقعد بهم وبأبنائهم عند تنفيذ ما يودون .

٣- طلب العلم لذات العلم :

وهذا الدافع لم يتوافر إلا للقلة النادرة فى مصر القديمة شأنها فى ذلك شأن أى مجتمع ، كان مجاله قصور الملوك والأمراء أو دور الحياة التى اعتبرت أكاديميات علمية الحقت بها المكتبات للبحث والدراسة وانحصرت أمكنتها فى العواصم الكبرى مثل هليوبوليس ومنف ، وأدفو طيبة ... غيرها ، كما كان الأخذ به عادة ما يعتنقه الفرد بعد أن ينهل من موارد العلم فيستعذبه وليس من قبل ذلك ، وقد كان أمثال هؤلاء (طالبى العلم لذاته) من يكون داعية إلى مذهبه أو يكون على الأقل مثلاً لاولاده وتلاميذه والمحيطين به،أو يكون مجرد قدوة يذكرها التاريخ، فقد ظلت القصص المصرية حتى آخر عصورها تخص بالذكر جماعة من الأمراء أثر عنهم سعيهم إلى العلم والعلماء بوحى أنفسهم ودون أن يضطروا إليه بطبيعة الحال فى كسب معاش .

٤- التعلم كوسيلة لحل مشكلات المجتمع :

إلى جانب الدوافع الثلاثة السابقة ظهرت الحاجة إلى التعليم فى مصر القديمة كنتيجة لبحث المصريين عن الحلول لمشكلاتهم التى تتصل بحرفة الزراعة ، فمن خلال الحاجة إلى عمليات الإحصاء والتسجيل سواء بالنسبة للأراضى ومحصولاتها وضرائبها أو المرتبات العينية للمشرفين عليها ، لم يكن من سبيل لتنظيمها وضبطها سوى تعلم الكتابة ، أما مشكلة الفيضان فكثيراً ما كان ينتج عنها إغراق الأراضى وضياع معالمها مما يتطلب إعادة تحديدها فظهرت حاجتهم إلى تعلم الحساب والهندسة والفلك وهكذا فى بناء السدود وحفر الترع وإقامة المقابر والمعابد ، فقد تعلموا الميكانيكا والمعمار والفنون المختلفة من خلال أبحاثهم الطويلة المضنية للعثور على حلول لمشكلاتهم،توصل المصريون إلى كشف قدر كبير من أسرار الطبيعة والحياة مما يمكن اعتباره كشفا لمادة العلم ذاتها ، التى ما لبثت أن انتظمت فى شكل مناهج يدرسها النشئ المصرى فى المدارس .

ثالثاً - مراحل التعليم :

يشير سعيد اسماعيل على أنه ليس من المقصود بطبيعة الحال وفى هذه الفترة التاريخية المبكرة أن نجد صورة مماثلة لما نراه اليوم من انقسام التعليم إلى مدارس نظامية محدودة ، ومن هنا فإننا نشير إلى صورة قريبة ، مع الأخذ بعين الاعتبار هذا التحفظ الذى بدأنا به والصورة التقريبية يمكن اقتراحها كما يلى :-

١- المرحلة الأولى .

٢- المرحلة فوق الأولى ويمكن أن نسميها المرحلة المتقدمة وكانت المدارس الخاصة بهذه المرحلة على نوعين :

أ- مدارس الكتاب وتعتبر امتدادا لمدرسة المرحلة الأولى .

ب- مدارس الأدارات الحكومية وهى تناظر مدارس الكتاب فكان يلتحق بها التلاميذ الذين انتهوا من المرحلة الأولى والتلاميذ الذين لم يستكملوا دراستهم فى مدرسة الكتاب .

جـ- مرحلة التخصص أو الدراسات العليا وكان مكانها دور الحياة ومعابد المدن .

- رابعاً - مجالات التعليم ومحتواه :-

تعددت مجالات التعليم فى مصر القديمة وتنوعت المواد التى نبغ فيها المصريون القدماء ويمكن إيجاز أهم هذه المجالات والعلوم فيما يلى :-

(١) مناهج اللغة وآدابها :

وقد تألفت هذه المناهج من دروس فى الهجاء والخط وقواعد اللغة والآداب القديمة من شعر ونثر والآداب المعاصرة وأداب الرسائل والاخلاقيات والتى كثيراً ما كنت دروسها تتداخل فى فروع الدراسات الأدبية الأخرى والتى لم تخل واحدة منها من حكم أخلاقية ومثل للسلوك القويم وتداخلت فيما صاغه المعلمون من وسائل إلى تلاميذهم

يحضون فيها على اختيار السبيل السوى فى السلوك ، وإيثار مهنة الكـاتب ولو أنها كانت تدرس أحياناً أخرى فى موضوعات منفصلة قصيرة واضحـة المدلول تهدف إلى تنظيم سلوك الفرد مع نفسه ومع ربه ومع الناس .

وقد كان تعليم القراءة والكتابة يتـم بتعليـم نطـق الحـروف وشـكلها وترتيبها ثم يمرن الطلاب على تكوين مقـاطع كلمـات مختلفـة وتراعـى المهارة فى الكتابة والدقة فى النطـق ثـم يعلمـون الكلمـات الكاملـة التـى تكتب عادة مقطعاً مقطعاً . وكـان المـدرس يلجـأ إلـى اسـتخدام التكـرار فيمـا يعطيـه للتلاميـذ مـن التمـارين فهـو يمرنهـم علـى كتابـة النمـاذج المختلفة ويكررونهـا عـدة مـرات ثـم يعلمهـم أسـماء أشـياء مختلفـة مـن الحيـاة اليوميـة كأسـماء الحـرف والشـهور أو الأسـماء المـأخوذة مـن القصص والتاريخ ، ثم ينتقل بهم بعد ذلك من كتابة المفردات إلى كتابـة الجمل القصيرة أو الحكايات التى يستسيغها الصبيان فى هذه المرحلة أو يعطيهم بعض الأقـوال المـأثورة والحكـم لتدعيـم الاتجاهـات الخلقيـة السلوكية فـى حيـاة التلاميـذ . ومـن ذلـك نلاحـظ أن المـادة التـى كـانت تستخدم فى القـراءة استمدت مـن خـبرة التلاميـذ وممـا أحـاط بهـم مـن مظاهر الحياة المعروفة لديهـم . كمـا اسـتخدمت القصـص التـى نعـرف **تأثيرها فى توسيع خيالهم وتهذيب خلقهم بما تضعه أمامهم من مثل عليا.**

(٢) مناهج الرياضيات :

اهتـم المصريـون القدمـاء بعلـم الرياضيـات (وهـو علـم اكـاديمى بحـث) وذلـك كنتيجـة حتميـة لبحثهـم المتصـل فـى المشـكلات المتعلقـة

ببيئتهم ، ويكفى أن تدلـل علـى ذلـك بفيضـان النيـل الـذى جعـل دراسـة الهندسة ضرورة لهم ليستخدموها فى إقامة السدود وحفر الترع وتنظيـم الرى ، كما أن عقيدة خلود الروح جعلتهم يتعمقـون فـى دراسـة هندسـة المعمـار والبنـاء فيمـا شيدوه مـن أهرامـات ومقـابر ومعـابد ومسـاكن وقصور وما خططوه من مدن وما شقوه مـن طـرق ، وكـان لا بـد أن ترتبـط الهندسـة فـى هذه كلهـا بـالمواد الرياضيـة المختلفـة كالحسـاب والميكانيكـا وحسـاب المثلثـات والجبر التـى وصلـوا فيهـا إلـى نتـائج ونظريات مذهلة فى دراسة الحجوم والزاويا والارتفاعات العمودية .

ولقد احتفظـت البرديـات والألـواح التعليميـة الباقيـة بمسـائل كثيرة يمكـن التمييـز فيهـا بيـن مجموعـة غلبـت عليهـا الصبغـة الحسـابية ، وتناولت مسائل الجمع والطرح والضـرب والقسـمة للأعداد الصحيحـة والكسور ، كما تناولت طريقة تحويـل المكـاييل إلـى مضاعفتهـا وسـائل التقسيم التناسبى ، ومجموعة ثانية ظهرت فيهـا مبـادئ الجـبر وتنـاولت معـادلات الدرجـة الثانيـة ومسـائل التتـابع الريـاضى ، ومجموعـة ثالثـة تنـاولت مواضيـع الهندسـة ومشـكلاتها وعـالجت المسـاحات والحجـوم والزاويا والارتفاعات .

من مسائل الحساب :

– تضعيف العدد (١٥) ١٣ مرة   ١ × ١٥ = ١٥

يتم فيها تسجيل العدد المضروب ويضاعف كتابة

عدة مرات فى خطوات رأسية متتابعة   ٢ × ١٥ = ٣٠

إلى أن نحصل على ما يساوى حاصل الضرب المطلوب

٤ × ١٥ = ٦٠

٦ × ١٥ = ٩٠

---

١٣ × ١٥ = ١٩٥

من مسائل الجبر :

– عدد إذا أضيف إليه ربعه كان الناتج ١٥ فما هو العدد ؟

وكان المسألة تحل بافتراض أن العدد هو (٤) فيكون مجموع العـــدد وربعـه هو (٥) وبقسمة الناتج فى المسألة علـى النـاتج فـى الفـرض أى ١٥/٥ يكون الناتج (٣) وبذلك يكـون العدد المطلوب ثلاثة أمثال الفرض أى ٤ × ٣ = ١٢ .

– ومن المسائل الأخرى عدد إذا أضيـف إليـه ثلثـان ثـم أخـذ ثلث الناتج يتبقى عشرة فما هو العدد ؟

– عدد أضيف إليه ثلثان ونصفه وسدسه أصبح الناتج ٤٢ فما هـو العدد ؟

– وبالنسبة للهندسة :

عرف المصريون الأطوال والزاويا وبرعوا فى حساب المســاحات والحجوم والمكاييل ، كما توصل المصريون إلى معرفة مساحة المثلث

وحددوها بأنها تساوى نصف مساحة المستطيل المشترك معه فـى القاعدة والارتفاع وهى نفس الطريقة التى نتبعها الآن .

ومن المسائل التى تعرض لها المعلمون مسألة إيجاد بعدى مستطيل بمعرفة مساحته والنسبة بين بعديه مثل أرض ومساحتها ١٢٠٠ ذراع مربع وعرضها ثلاثة أرباع طولها . افترض الحل أن العرض ٣ والطول ٤ فتكون المساحة المفترضة ١٢

العلاقة بين المساحة الحقيقية والمفترضة ١٢٠٠ / ١٢ = ١٠٠ ، جذرها

١٠ وبذلك يكون الطول والعرض الحقيقين عشرة أضعاف الطول والعرض المفترضيين .

ومن المسائل أيضاً مثلث ارتفاعه العمودى ١٠ حنت (الحنت ١٠٠ ذراع) وقاعدته ٤ فما مساحته ؟

– والواقع أن الرياضيات المصرية تميزت بعدة خصائص أولها أنها كانت تقيس الذكاء إلى جانب القدرات الرياضية وثانيها أن مسائلها كانت مشتقة من البيئة والحياة اليومية وثالثها أنها جعلت للمصرين نصيباً فى وضع أسس التقدم بالطريقة العلمية . وقد اشتهر المصريون بطرقهم المشوقة فى تقريب الرياضيات لأذهان الأطفال وذلك بربطها بأشياء محسوسة ، وبالألعاب المختلفة التى من شأنها أن تحبب الأطفال فى الرياضيات وتزيد فى شوقهم ورغبتهم فى دراستها .

(٣) منهاج المعلومات العامة :

وتشمل منهج المعلومات الجغرافية والمعلومات التاريخية والمعلومات الدينية وقد اشتمل منهج المعلومات الجغرافية على أسماء الظواهر الكونية والطبيعية الواضحة فى الأرض والسماء وأسماء مدن القطر ، وتعدد أنواع المحاصيل والمنتجات والحيوانات والطيور والأسماء ، وأسماء بعض الأقطار الخارجية ومنتجاتها وأوصاف جماعات هذه الأقطار وحيواناتها وقد اتبع المعلمون فى تدريس الجغرافيا الكثير من قواعد التدريس المعروفة لنا الآن من حيث الانتقال من السهل إلى الصعب ومن الاجمال إلى التفصيل أى من الكل إلى الجزء .

واشتمل منهج المعلومات التاريخية على دراسة أسماء الملوك وقصة كفاح المصريين ضد الهكسوس وقصائد انتصارات الملوك عليهم مما يكشف عن الربط بين الأدب والتاريخ .

وقد تعدت دراسة التاريخ ذكرى الحروب والفتوح وتعاليم الملوك، إلى ذكرى المنشآت الهامة (كالمعابد) وقد سجل المصريون كثيراً من تواريخهم صوراً من قبل أن تيسر لهم الكتابة ومن تواريخهم الأولى المصورة ما حفلت به اللوحات القديمة من أخبار وأحداث مصورة . أما منهج المعلومات الدينية فكان مرتبطاً بتقدير المصريين للدين حيث كان التلاميذ يدرسون قصائد الآلهه ويحفظونها كعقائد ، كعقائد أمون وتحوت ، وكذا الموضوعات الانشائية التى تتصل بالعواصم الدينية

كطيبة ومنف وأسماء ألهتها والمتون الدينية والحربية ثم تقويم أيام السعد والنحس .

ويرتبط بمنهج المعلومات الدينية منهج الموسيقى والأناشيد التى كان لها شأن كبير فيما يقوم به المصريون من احتفالات دينية ومن أهم الأناشيد أناشيد النيل وأناشيد الشمس " بالإضافة إلى أناشيد النصر التى تغنى بها المصريون بعد انتصارتهم فى عهد الامبروطورية ، وقد عثر فى المعابد المصرية القديمة على مناظر الآلات الموسيقية واحتفالات الرقص والغناء ويقول " دريوتون " أن اقتراب المصريين من الطبيعة جعلهم ينشدون أناشيد الشمس والنيل ، وكان الكتاب ينسخونها فى تمارينهم ولذلك كانت تحتل جانباً هاماً من مناهج الدراسة خاصة المدارس الدينية الملحقة بالمعابد التى لم تكن تمر بها ساعة إلا وتشهد طقسا دينياً .

(٤) الطب :

يعتبر الطب من أبرز وأشهر المجالات التى تعلمها المصريون القدماء وعلموها ، فبعض البرديات بها وصفات لطرق علاج الأمراض المختلفة التى كانت سائدة فى ذلك الوقت مثل ما نسميه اليوم البلهارسيا والحمى القصيرة والطويلة وأمراض المعدة والديدان المعوية والقلب **والكبد وأمراض النساء كالتهاب الثدى أو ارتخائه ونزيف الرحم ... الخ .**

كذلك عرف المصريون القدماء الطرق التى تعالج بها حالات القئ كايقافه أو تلطيفه أو أحداثه عند اللزوم فى بعض الحالات ، كما عرفوا

المسهلات ، وعرفوا أيضاً أن الشرايين تبدأ من القلب وتأخذ منه الدم ثم تذهب إلى كل عضو أو بعبارة أخرى عرفوا أن القلب له علاقة بجميع الأوعية ويتصل بكل عضو ، بل زيادة على كل ذلك ، فقد عرفوا النبض .

ولقد عرفوا العقاقير وكان يصنعوها من مواد عضوية وغير عضوية على أن أكثرها كان من المواد النباتية وكانت العقاقير تتركب عادة من عدة مواد مختلفة منها مادة واحدة تفيد والباقى لا جدوى منه وكان يراعى فى الدواء السن واختلاف الفصل من السنة كما كان يعنى بدقة وصف الأعشاب النادرة تحاشياً لما قد ينشأ من خلط بينهما ، كما كان يعنى بذكر المقادير وطريقة تحضير العقار واستخدامه .

والواقع أن من الأدلة الواضحة على مقدرة المصريين القدماء فى الطب وبراعتهم فيه ، ما وصلوا إليه فى فن التحنيط وما استعمل فيه من آلات فوصل تحنيط جثث الفراعنة إلى أعلى درجة من الاتقان بدليل تلك الموميات التى أخرجت من مراقدها بعد مضى آلاف السنين وما زالت تحتفظ بشكلها الأدمى كما كانت وقت الحياة .

(٥) النحت والعمارة (الفنون) :

دفعت عقائد الديانة المصرية أهلها إلى الاهتمام بالفنون خاصة عقيدة البعث والخلود فقد اندفع المصريون تحت تأثيرها إلى الأهتمام بعمارة مقابرهم وتطوير معابدهم وتشكيل أجزائها وتزيين تفاصيلها باعتبارها وسيلة من وسائل تحقيق الخلود ، كما أسرفوا فى نحت

التماثيل فى معابدهم ومقابرهم حتى تحط عليها أرواحهم أو تتقمصها كلما هبطت إليها من عالمها السماوى البعيد ، كما أسرفوا فى تصوير المناظر الدنيوية والأخروية على جدران مقابرهم أملاً فى أن تستفيد بها أرواحهم فى عالمها غير المنظور ، كما شغلت مناظر القتال مساحات كبيرة على جدران المعابد ، كما حرص المصريون القدماء على تزويد مدافنهم بأفخر الرياش وأدوات الترف والزينة حتى لا ينقصهم شىء منها فى الحياة الآخرة .

(٦) الحرف والصناعات :

تشير البرديات إلى أن المصريين القدماء قد وضعوا كثيراً من الأسس التى تقوم عليها بعض الحرف والصناعات ، فقد وضعوا الأسس التى تقوم عليها الزراعة حيث عرفوا المواعيد المناسبة لبدء زراعة الأنواع المختلفة من النباتات ومواعيد الحصاد وحفظ المحصول وتنظيم الرى وبناء القرى وغير ذلك من شئون الحياة الزراعية المستقرة ، كما عرف المصريون القدماء الكثير من الصناعات مثل صناعة أسلحة برنزية كالسيوف والخوذ والدروع ، والعجلات والهراسات والرافعات وصنع المصريون كذلك الأكاليل والقلائد والخرز من الأحجار الثمينة وكانوا يثقبونه ويفصلونه بدقة وعناية كما عرف المصريون صناعات مثل غزل الكتان وأشغال الذهب والزجاج . وصناعة الحلى بمهارة كبيرة كما أنهم استخدموا أوراق البردى للكتابة والحبال والحصر والاحفاف كما أنهم هم الذين اهتدوا إلى اختراع الحروف الأبجدية وكانت تمثل كتابة بالصور وتنطق جزئياً .

والواقع أن مظاهر تقدم القدماء المصريين فى الحرف والصناعات والفنون واستمرارها ، يدل بصورة واضحة على الأهتمام المتزايد بتعليم هذه الجوانب للأجيال الجديدة دائماً ، ولو حدث فيها انقطاع لما شهد تطورها هذا الاضطراد فى التقدم والتحسن ، وان كان تعليم هذه الحرف والفنون لا يتم فى معاهد خاصة بها وإنما فى مواقع العمل نفسها إلا أن هذا بطبيعة الحال لا ينفى الصفة التعليمية التى صاحبتها ، ومن ثم نستطيع بقدر غير قليل من الاطمئنان أن نقول أنها كانت صورة من صور التعليم اللامدرسى .

(٧) التربية البدنية :

يرى الدارسون للحياة المصرية القديمة أن المصريين كانوا شعباً نشيطاً يميلون إلى ألوان متعددة من التمرين البدنى حيث احتلت الرياضة جانباً هاماً من الجوانب التى كانوا يفضلونها فى حياتهم . وقد كانت السباحة من بين الرياضيات المحبوبة حتى أنهم وضعوا لها رمزاً هيروغليفياً وفى الآثار المنقوشة ما يستدل منه على أنهم توصلوا لاستخدام طريقة للسباحة تشبه سباحة الزحف إلى حد كبير ، كما ظهرت فيها أيضاً معرفتهم بطرق التنفس الصناعى فى محاولة إعادة الحياة للشخص بعد انتشاله من الماء ، كما عرف أن المرأة كانت تشاطر الرجل هواية السباحة ، وقد كان لكثير من النبلاء حمامات للسباحة مقامه داخل الاقطاعيات التى كانوا يمتلكونها ، كما ولع الملوك والنبلاء بالصيد واشترك معهم فى ذلك عامة الشعب ، وإن كان هدفهم الحصول على القوت وقد استخدموا فى ذلك القوس والنشاب والحربة

والعصا المسننه وقد كانت طبقة المحاربين تلجأ إلى استخدام الألعاب والرياضيات التى تساعد على تنمية المهارات اللازمة للحروب وكان الأبناء الصغار يلحقون بالثكنات العسكرية المدرسية حيث يتلقون تدريباً عنيفاً على استخدام الأسلحة ويمارسون تمارين السرعة والقوة والمرونة والرشاقة كما كانوا يدربون على المصارعة والرقصات والمناورات .

كما أقبل المصريون القدماء على المصارعة والرقص والجمباز وقد وصلت المصارعة لديهم إلى درجة فنية عالية ، ولم يقتصر الأمر على استخدام المحاربين لها للإعداد البدنى بل كان المحترفون يمارسونها لتسلية المشاهدين ، وقد عرفت لديهم كثير من المسكات العلمية ، كما احتل الرقص مكانه كبرى لدى المصريين كشأنه لدى الشعوب البدائية ، إلا أن الطبقة الحاكمة قصرت اشتراكها فيه على الرقصات الدينية تاركة الرقصات الشعبية العامة ، ولكنها اشتأجرت الراقصين لإحياء حفلاتهم الخاصة وقد أدى ذلك إلى أن يصبح الرقص مهنه تجتذب لاحترافها كلا من الرجال والنساء أو قرع الطبول .

والواقع أن المصريين قد هيأوا للصغار شتى وسائل اللعب التى كانت تتضمن ألعاباً تشابه ما يلعب به الأطفال فى يومنا هذا كالعرائس والنحل والدوائر والأطواق والكرات والبلى ... وغيرها . أما الفتيان والفتيات فقد سجلت لهم فى النقوش ممارسة الحركات البهلوانية الأرضية والجمباز أما لمن هم فى أعمار أكبر فكانت تنظم لهم مباريات واختبارات بعضها فى التحطيب والمبارزة ورفع الأثقال ويبدو أن

اللعب بالكرة كان يقتصر على الرمى واللقف والمراهنة التى تنتهى بأن يضطر اللاعب الذى يخفق فى لقف الكرة إلى حمل منافسه علـى كتفيـه فى حين يستمر رمى الكرة واللعب .

خامساً – وكالات التربية ومؤسساتها :

لم تنفرد المدرسة فى مصر القديمة بمهمة التربية والتعليم بل شاركتها مؤسسات ووكالات أخرى بل أن مهمة هذه الوكالات كانت أكثر وضوحاً لأن المدرسة لم تكن قد وقفت على قدميها بمعنى الكلمة ولا تعددت وظائفها ومهمتها – مثلما هى الآن ـ كما أن فرص الالتحاق بالمدرسة أيا كانت لم تتعد أعداداً محددة ، مما كان لابد معه لبقية الوسائط والمؤسسات أن تقوم بمهمة التربية والأعداد لبعض الوظائف والأدوار فضلاً عن التكوين الشخصى .

وكان من أهم هذه المؤسسات ما يلى :-

١- الأسرة :

كانت للأسرة المصرية القديمة دوراً هاماً وأساسياً فى التنشئة الاجتماعية لأطفالها نظراً لما تمتعت به من خصائص متميزة ، كانت كفيلة بتنشئة الطفل تنشئه جسمية وعقلية ونفسية هادئة ، مبسطة ، أميل إلى اليسر فى أغلب أحوالها ، تمثلت هذه الخصائص فيما يلى :

أ- الاستقرار الذى يحول دون تبددها ويقلل من مشاكلها فقد كان من تعبيرات الزواج فيها لفظ " منى " وهو لفظ يعنى الاستقرار والرسو

والثبات . ولذلك جعلت بعض الكتب والبرديات من انفصال الزوجين وانعدام الاستقرار بينهما شراً مستطيراً ففى كتاب لتفسير الأحلام إذا رأى الإنسان فى رؤياه النساء تلحق بسريره فذلك شر ويعنى طرد زوجته ، على أنه فى حياة المصريين القدماء ما هو أبعد من ذلك دلالة على إيثارهم للاستقرار العائلى وهو أنه حتى فى حالات تعدد الزوجات ومع صعوبة الاستقرار فى بيت يجمع بين زوجتين فإنه من الأمثلة المعروفة للتعدد ما يشهد بوفاق غريب بين الضرائر فقد تسمى احداهن بناتها بأسماء ضرتها ، وقد تكون الزوجة الأولى هى الموصية لزوجها باتخاذ ثانية ابتغاء الخلف ، ثم لا تلبث أن تعترف بأبنائها أبناءً لها تتورثهم ، وتزوج بنتا منهم لأخيها ، وقد لا تجد الزوجة الأولى بأساً من أن تتقبل القرابين من أبناء ضرائرها كما لو كانوا أبناءها ، وقد كان هذا الوفاق الغريب فى صالح الأبناء دون شك .

ب- إيثار الاتزان وغلبة السماحة فى المعاملات الأسرية ، وتمثلت صور هذا الاتزان فى كفالة حق الأبناء جميعهم فى ميراث أبويهم فى معظم الأحوال ، ففى أقدم وصايا التوريث يتضح أنه لا الأم كانت تغلبها العاطفة فتعطى ولداً وتحرم الآخر ، ولا الأب كان يحرم البنت من بين اخوتها من حقها فى ميراثه ، وما من شك فى أن الاحتفاظ للأبناء جميعهم بحقهم فى الميراث يمكن أن ينتج أثراً فى حفظ شخصياتهم وفردياتهم جميعاً واضحة ، كما تسهم سماحة أفراد الأسرة فى تهذيب النشىء .

جـ- الاهتمام بالرعاية الصحية للطفل ، وهـذه الرعايـة كـانت تبـدأ قبل مولد الطفل حيث العناية بالحـامل وتسـهيل عمليـة الـولادة وتأمينهـا من كل خطر ثم ما يجب عمله لوقاية الطفل قبل الولادة ، كما اسـتمرت تلك الرعاية بعد مولد الطفل خاصة ما يتصـل منهـا بارضـاعـه وبتبولـه وسعاله والوعكات التى تصاحب ظهور الأسنان ... وغيرها ، كما اهتم القدماء المصريون اهتماماً كبيراً بنظافة البدن ظاهره وباطنه من خـلال التأكيد على العادات التالية :-

١- غسل الطفل عقب ولادته .

٢- تقصير شعر الطفل .

٣- عـادة الختـان حيـث يقـول هيرودوت أن المصريين أول مـن عرف الختان من شعوب الشرق .

٤- التعود على غسل اليدين عند الأكل .

٥- إيثار التوسط فى الطعـام والشـراب وهـو مـا عـبر عنـه حكيم "خسيء من شره جوفه " .

٦- الربط بين النظافة وبين التطهير بالنسبة إلى الأسرة بوجه عـام كالتهطر من الجنابة وتطهر المـرأة بعد الحيض وبعد النفـاس وتطهر الكهان قبل قيامهم بالطقوس الدينية .

(د) الاهتمام بأدوات اللعب الخاصـة بالأطفـال حيـث كـان القدمـاء المصريين يقدمون لأطفالهم فى سنواتهم الأولى كثيراً من أدوات اللعب،

يقدمونها هدايا فى المناسبات ، وكان الأطفال يفرحون بها أشد الفرح ، كما يفرح بها أمثالهم فى كل زمان ، وقد عبر علماء الآثار على كثير من ألوان تلك اللعب منها ما كانوا يحركونه بالخيوط كصور الأقزام الذين يقومون بالرقص والتماسيح التى تحرك أفواهها ومنها عرائس ودمى صغيرة من الطين أو الفخار أو الخشب لها أذرع أو أقدام متحركة وشخاليل وخذاريف من الخشب وغير ذلك من أدوات اللعب التى وفرت للأطفال نوعا من المران العقلى وأكسبتهم الخبرة والقدرة على فهم الأشياء التى اتفقت وميولهم فى تلك المرحلة الأولى من مراحل حياتهم وكان الطفل إذا اجتاز مرحلة اللعب الانفرادى دخل فى مرحلة اللعب الجماعى ، فالطفل عندما يقوى ويصبح قادراً على السعى إلى أقرانه فيألفهم ثم يشركهم فى كافة ألوان اللعب وفى ذلك تمرين على العمل الجماعى من أعمال الجد التى تقتضيها الحياة .

هـ- حرص الاباء والأمهات على تعليم أولادهم أداب السلوك وقواعد المعاملة وتنشئهم على القيم الرفيعة وتعليمهم كيف يعيشون مع الآخرين فى جو تشيع فيه المحبة بين الناس .

و- حرص الاباء والأمهات على توريث مهنتهم ووظيفتهم إلى أولادهم فالمهن والحرف فى مصر القديمة كانت تنتقل من الأب إلى الأبن ومن الأبن إلى الحفيد عبر السنين والأجيال عن طريق الممارسة والتدريب العملى ، حيث كانت رغبة الأب كغيره فى أن يترك وظيفته لابنه ، وأن يجلسه من بعده على كرسيه فى منصبه .

وهكذا نرى أن المنزل فى مصر القديمة كان ميداناً من ميادين التربية المقصودة ، تمارس فيه سليمة قويمة ، يمنحها الأباء أبنائهم صادقة خالصة مرضية قائمة على أسس من صحة البدن ورعايته ، ومن صحة العقل أيضاً يتعهدها الأباء بكل ما يذكيها وينميها من مختلف الوسائل ، ثم تقويم النفس بالأخلاق ، وما يعلمه النشىء من قواعد السلوك وحسن معاملة الغير ، وأخيراً بما يأخذ به الأب ولده من اعداد للمهنة والحرفة .

٢- مدارس الادارات والمصالح الحكومية :

كان استقرار الحكم واستتباب النظام فى يد سلطة قوية فى مصر منذ أقدم العصور عاملاً هاماً كفل للحكومة قدرة واسعة على استيعاب المتعلمين صغارهم وكبارهم . خاصة وأنها اهتمت بتسجيل كل صغيرة وكبيرة من شئون البلاد ، ولكن مع توسع الدولة ازدات الحاجة إلى الموظفين للنشاط الكبير الذى استلزمه أعداد الجيش ، وما يستتبع ذلك من عمليات القيد والمراسلات والمؤن والأسلحة .. وغيرها ، ولذلك قامت مدارس الأدارات الحكومية كنتيجة لهذه الظروف جميعاً ، ولأن مناهج المرحلة الأولى لم تكن كافية لتولى الشخص هذه الوظائف ، إذ كان لابد من فهم مقتضيات الوظيفة الجديدة ، والتدريب على ممارسة التزاماتها . ومن هنا أنشأت بعض المدارس التابعة للأدارات والمصالح الجكومية يلتحق بها الطلاب الذين انتهوا من دراستهم الابتدائية ، أو بعض الذين عجزوا عن متابعة دراستهم فى المرحلة للمتقدمة ، كما كان من بين طلاب هذه المدارس من كان موظفا وأراد أن يصل إلى

مركز أرقى فهو يدرس ، يعمل فى الوقت ذاته ليستعين بمرتبه فى مواجهة الحياة ومتابعة التعليم .

وقد اتفقت مناهج هذه المدارس وطبيعة الإدارة التى سيلتحق بها الطالب غير أن وظائف العمل بالقصور الملكية تطلبت الاستزادة من المعلومات عن المناصب والألقاب وآداب وتقاليد القصور ، أما مدرسو هذه المدارس فكانوا من الموظفين الأكفاء المدربين بالإدارات المالية وإدارة الجيش والمعابد وغيرها .

٣- المعابد :

كانت المعابد فى مصر القديمة مراكز للتعليم على اختلاف أنواعه، خاصة ما يتعلق منها بأعداد الكهنة لوظائفه ، ولذلك تضمنت المعارف التى كان يتعلمها الكهنة فى المعابد معرفة أسماء الالهه ، وأسماء الاله الذى يخدمونه بخاصة وما تنم عنه من صفات ومناسبات ومعرفة التراتيل التى تلقى أمام آلهة معبدهم والشعائر التى تقام لهم ، والتفسيرات أو التسميات الرمزية التى كانت تطلق على كل صغيرة وكبيرة من الشعائر ، ومعرفة القصص الرئيسى فى حياتهم وقصص الالهة الذى يخدمونه بخاصة ، ومعرفة الأعياد وطقوسها وما يتصل بها من ذكريات وما يكون من أمر الآخرة وآلهتها ومسالكها وعقباتها ، وربما أضافوا كذلك المعرفة بتقويم أيام السعد والنحس وشئ من الفلك والتنجيم والسحر وما ماثل ذلك .

وقد كان من جوانب ثقافة الكهنة ما يتفق ومناهج التعليم العامة ويدل على ذلك قيام بعضهم بتدريس نفس الموضوعات التى كان يدرسها غيرهم من المعلمين المدنيين ، وذلك فضلاً عما كان معروف عن أن الكهنة المصريين لم ينعزلوا عن الحياة العامة ، وأنه قلما اقتصر كاهن ذو أهمية على أعمال الكهانة وحدها دون الوظائف المدنية فى القصر أو فى الحكومة أو فى ذات معبده .

ولقد كان التعليم الكهنوتى تعليما جماعياً فى غالب أمره ، إذ عرف من الدولة القديمة لقب معلم الإنشاد الملكى أو معلم الإيقاع أو معلم المنشدين أو ما يشبه ذلك ، وقد كان للإنشاد فى القصر الملكى صبغته الدينية مما يدل عليه اتخاذ المشرفين عليه بألقاب كهنوتية .

(٤) الجيش :

شكلت خصوبة أرض مصر مركز جذب للقبائل البدوية التى كانت تعيش على الرعى فى الصحراء كما شكلت ثروتها ومواردها من الغلال وثروات الفراعنة مطمع ملوك الدويلات المجاورة وهو ما تطلب ضرورة أن تتمتع الدولة بقوة عسكرية تجعلها مهابة الجانب وتتولى الدفاع عن أراضيها وتمكينها من تكوين امبراطورية ضخمة يكون الجيش أداتها الأساسية باعتباره بوتقة رئيسية لتكوين وتربية واعداد الجندى الشجاع الذى يخوض غمار الحروب سواء لرد الغارات أو لتحرير البلاد أو للغزو .

وعندما خاص المصريون غمار الحرب مع الهكسوس تعددت صور التدريب وتنوعت وتطلب تدريب القادة وأمراء الجند كثيراً من الثقافة العسكرية والسياسية مما اقتضى إنشاء مدارس عسكرية يتلقى فيها الشباب فنون الحرب والرياضة العسكرية . فلم تكن العسكرية تورث كالمهن الأخرى وإنما كان يلتحق المجندون وهم عادة فى سن العشرين بجماعة الناشئين يسمى أفرادها " نفرو " أى الناضجين أو الصالحين للجندية ، وكانت أولى تدريباتهم تنظيم السير ثم التدريب على العدو والمصارعة والتسلق والرماية والمبارزة فضلاً عن استخدام البحر والنيل والتمرن على نقل العتاد والجنود عن طريقهما ، ولقد ازدحمت مناظر الحياة – خاصة فى عهد الدولة الحديثة – بصور هذه التدريبات كلها ، وكانت هذه التدريبات تقوم عادة على بث روح النظام وتقوية البدن والتعويد على الخشونة وتحمل المشاق .

أما بالنسبة لأعداد الضباط ، فكان يتم عن طريق دمج الضباط بعد انتهائه من فترة التدريب فى فرق الجيش المحلية ويمنح الامتيازات المخصصة له حتى يحين وقت اشتراكه فى المعركة وقد تطالب ترتيبهم قسطاً من الثقافة السياسية والعسكرية مما اقتضى المصريون أن ينشئوا مدرسة حربية فى منف تتولى تدريبهم ومن حول تلك المدرسة قامت المصانع الحربية لصناعة أسلحة الحرب وعددها من سيوف وخناجر ودروع وعجلات الحرب كما انشئت دار لصناعة السفن .

وعلى الرغم من أن العسكرية فى عمومها تتميز بحياة الخشونة والصرامة إلا أن طابع الحرب لم يأب كما يقول بعض المؤرخين على

العسكريين المصريين أن يتمسكوا بطابع التدين ، فلم يؤثر عنهم الإسراف فى إذلال الاسرى ، وفى ذلك دليل قوى على ارتباط تربيتهم العسكرية بتربيتهم الدينية ومثلهم الخلقية المعهودة .

٥ – دور الحياة :

وهى نوع من المدارس الملحقة بالمعابد تتولى ما نطلق عليه اليوم التعليم العالى وقد راى بعض الباحثين فى هذه الدور نوعا من الاكاديميات أو المعاهد العليا أو المكتبات ومنهم من رأى أنها كانت تجمع العلماء واللاهوتيين والفنانيين ، وقد عرفت هذه الدور فى مصر القديمة وكانت توجد فى الحواضر والمدن الهامة ، وحيث وجدت المعابد الكبيرة.

ولقد كانت الشئون الدينية أهم ما تخدمه دور الحياة وأهم ما يقصد رجالها من أجله ، ففيها كانت تنسخ حوليات الآله وإليها كانوا يرجعون فى التحرى عن الصيغ السرية للالهة ويعرفه كيف تخلد اسماؤها ، وكيف تقام معابها وتقدم قرابينها ويحتفل بأعيادها ، وكانت مواكب أعياد الالهة تقصد بهو دارالحياة فتقوم هيئة الدار بافتتاح الحفل وتفسير اسم المعبود .

وكان يفترض فى رجال دار الحياة الالمام بالسحر وفنونه حيث كانوا يسمون اساطين السحر ورؤساء السحرة ، كما كان لهذه الدور صلتها الوثيقة بالطب والاطباء كما توفرت لبعضهم الخبرة فى كتابة النقوش حيث كان ينتدب بعضهم لدراسة النقوش القديمة والاستفادة منها

فيما يود الملوك أن يكتبوه على أثارهم القديمة ، كما كان منهم جماعة عرفوا باسم " فنانى دار الحياة الكبار " وقد نسبت زخرفة معبد ادفو وتشيد معبد آمون إليهم .

والواقع أن توافر المعارف السابقة لكتبة دار الحياة كان يهيىء لـم فرص الاسهام بنصيب كبير فى مجالات التعليم والتثقيف شملت بجـانب الديـن والسـحر والفنـون والأدب والطـب والمعـارف العامـة ، وعندمـا أبتعدت الكتابة الهيروغليفية عن الاستعمال العام فى العصور البطليمية والرومانية ، اشتد ارتباط كتاب دار الحيـاة بهـذه الكتابـة ، اعتبروا هـم العارفين بها الامناء عليها ، كما أصبحت هذه الكتابة نفسها تعرف باسم " كتابة دار الحياة " .

وإذا كـان مـن شـأن المكتبـات أن تسـهم بنصيـب فـى الإطـلاع الشـخصى ، وفـى دراسـة الكبـار ، فثمـة مـا ينـم عـن أن دور الحيـاة (المكتبة) كانت تحتفظ فى قاعاتها ببعض ما يكتب فيها .

سادساً – طرق التربية والتعليم :–

تنوعت الأساليب والطرق التـى اسـتعملها المصريـون القدمـاء فـى تربية وتعليم الأبناء وتمثل أهم الطرق والأساليب هذه فيما يلى :

١– الإقناع :

أن استقراء عدد غير قليل من التعاليم المصرية التى كانت مهمتهـا إرشاد الإنسان إلى الطريق السوى يشير إلى أنها لم تقف عند حد وضع

المبادىء والقواعد التربوية بل كانت تعقبها غالباً بـ " المبرر " والسبب والهدف ، مما يشير إلى أهمية الاقناع حتى تجد هذه المبادئ والقواعد طريقها إلى عقل وقلب المواطن ومن ثم إلى التطبيق والتنفيذ .

وقد اتخذت التعاليم المصرية سبيلها إلى الإقناع عن طرق شتى منها التعقيب المنطقى ، الاستشهاد بالمثل السائر ، واستخلاص العبرة من أحداث وقعت ، ومحاولة ربط النتيجة بالسبب والاستعانة بالوازع الدينى .

ففى تعاليم " بتاح حوتب " نجده إذ ينهى ولده عن التعالى بالمعرفة ويأمره بمشاورة الأمى والعالم ، يبرز نهيه وأمره بالتعقيبات الآتية " لأن حدود الفن لا تبلغ ، بل وما من فنان استكمل مقوماته جميعاً ، لأنه وإن كان جيد الكلم أشد استخفاء من الزبرجد الكريم ، فإنه قد يتوفر لدى الإماء العاملات على المراجى " . نجده يأمر ابنه بالاشفاق على المتظلم والإنصات له ، يعقب على أمره بقوله " إن المتظلم يود لو يؤمن السامع على قوله حتى ينهى ما جاء لأجله " .

٢- اللعب :

أحسن المصريون القدماء استغلال اللعب فى تربية الأبناء وتهذيبهم وحسن استغلال أوقات فراغهم خاصة فى مراحل حياتهم الأولى فقد كان للعب مكانة كبيرة فى حياة الأطفال المصريين وكان له أثره الواضح فى تنمية مداركهم وترقية ملكاتهم وتدريبهم على كل جاد من العمل .

فقد فطن المصريون إلى أن الألعاب تقوى عضلات الجسم وتكسبه المرونة وألوان من المهارات المختلفة ، كما أن فيها تدريباً للحواس ، كما أن اللعب كان يتم فى الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس وبين أحضان الطبيعة ، ولذلك كان يحيط الأطفال فى الغالب بجو صحى وهواء نقى يكسبهم حصانة ومناعة صحية ، كما أن الألعاب تكسب الأطفال كثيراً من الخبرات وتشعرهم بالثقة بالنفس وتمنحهم الاستقرار الانفعالى وتحقق حاجتهم إلى النجاح وتنفس عن طاقاتهم النفسية ، كذلك تشجع الناشئين على التعاون وتعودهم على التنافس والأخذ والعطاء واحترام نظام الجماعة .

٣- الحفظ والاستظهار :

كان من وسائل التعليم فى مصر القديمة تمرين الذاكرة حيث كان التلاميذ يحفظون عن ظهر قلب ، وكان المربون يوصونهم بذلك ، حيث يقول أحد المعلمين " ان التلميذ الموفق هو الذى يحفظ مقالة أبيه ومعلمه ثم يتلوها حرفياً من الذاكرة فإنها كنز ينبغى أن يطوى عليه صدره طوال حياته فقد كان على التلاميذ أن يتعلموا الشعر والآداب الدينية ويحفظون منها الأناشيد والأدوار والصلوات والأساطير وبعض ما كان يقدرون أنه ينفعهم فى الحياة اليومية ، وكانوا عندما يلمون بتاريخ الماضى وأحداثه ينقلون القصص التاريخى ويحفظونه ويرددونه للنشىء من أبناء البلاد جيلاً بعد جيل ، بالإضافة إلى حفظ أسماء البلدان الأجنبية وأسماء الحيوان والنبات ومعالم الأرض وكواكب السماء وغيرها .

وفـى هـذه الطريقـة كـان المعلـم يقـرأ ويقـرأ التلاميـذ معـه أو مــن ورائه، فيذكر من نصائح معلم لتلميذه " اقرأ بفمك وقـل (افعـل) مثلمـا أقول " ، يلى ذلك التسميع من جانب التلاميذ بعد الحفظ .

٤- طريقة الترغيب والترهيب :

من الوسائل التى لجأ إليها المربون فى مصـر القديمـة فـى التربيـة التحذير والتخويف من عواقب الإهمال والكسـل عـن التعليـم وإغرائهـم بما ينتظرهم من مستقبل باهر ، والتأكيد لهـم علـى ضـرورة تجويـد مـا يدرسون ويحصلون . وقـد تـم ذلـك مـن خـلال مجموعـة مـن الوسـائل والأساليب تجمع بين الترغيب والترهيب منها :

أ- الضرب :

كان الضرب من أوائل وسائل التربية فى مصر القديمة إلـى تقويـم السلوك وإقامة النظام وتثبيته فهذا معلم يخاطب تلميـذه " لاعلمـن قدمـك كيف تزرعان الطرق والمسالك عندما تلهبان بسوط " " أذن الصبى فـى ظهره فهو يسمع ويطيع إذا ما ألهب ظهره " ان التلميـذ لـن يمـوت مـن الضرب من يد أبيه " وأن الأب الذى يدفعه حب ولده إلى الإشفاق عليـه لا ينبغى له - إذ فسد ولده - أن يلوم غير نفسه " هذه الأقوال المـأثورة تدل على إيمان المصريين القدماء بالضرب كوسيلة من وسائل التربية .

ب- القيد والحبس :

فمن وسائل العقاب والتأديب التـى اسـتخدمها المربـون فضـلاً عـن الضرب بالعصى التقييد بقيد يشبه ما نسميه فى عصرنا الحديث الفلقة ،

يقيدون بها المذنب أو المخالف ويتركونه يعـانى مـن آلام القيـد سـاعات وأيام ، وفى الوثائق مـن الأحـاديث مـا يصـف لنـا ضيـق التلاميـذ بهـذا القيد، وكيف كان الضيق يدفع القادرين منهم على كسرة وعلى الافـلات منـه . فـالمصريون كـانوا يـرون أن الناشـىء كـالحيوان يـروض بـالقيد ويساس بالعصا .

كذلـك عـرف المصريـون كيـف يعـاقبون بـالحبس ، فهـذا مربـى يخاطب أحـد تلاميـذه ، فيقـول " لمـا كـانت فـى مثـل سنك قضيـت فـى الحبس وقتاً بلغ من الأشهر ثلاثة ، اقمتها جميعـاً بيـن جـدران المعبـد ، على حين كان أبواى وأخوتى فى القرية ، ولم افلت من محبسى هذا إلا بعد أن مهرت يدى فى الكتابـة وأصبحـت بذلـك متفوقـا علـى مـن كـان يتقدمنى من الزملاء " .

جـ- الوعظ والإرشاد :

عرف المصريون كيف يعظون ويرشدون أبنائهم وتلاميذهـم ، بـل وأسرفوا فى ذلـك لإيمـانهم الشـديد بجـدوى ترويـده ، فكـانوا يسـطرونه حـواراً تـارة ورسـائل متبادلـه تـاره أخـرى ، وآمنـوا كذلـك بالنصـائح الأخلاقية يوجهونها صريحة إلى تلاميذهم .

د- الإغراء :

حـرص المصريـون القدمـاء علـى أن يغـروا تلاميذهـم بمسـتقبل باهران هم حرصوا على اغتنام شبابهم للاستفادة من الدرس والتحصيل ويدفعونهم إلى التطلع دائماً إلى حياة أفضل ، ان هم أجادوا ما يدرسونه

ويحصلون . وهذه وصية أب لأبنه عند الحاقه بالمدرسة " سطر بيدك واتل بفمك وافعل ما آمرك به ، حتى لا يضيق صدرى بتعليمك وستجد التعليم أغنى وانقى من حياة غنية بالخبز والجعة ، تفوق على زملائك حتى يمكن تعيينك ، أقبل على الدرس واهجر الرقص لتكون موظفاً يقظاً ، اكتب بالنهار واقرأ بالليل ، وآخى القرطاس والدواة ، فإن فى ذلك نشوة ألذ من نشوة الشراب " .

سابعاً – المعلمون :-

لم تكن وظيفة المعلم فى مصر القديمة كتلك التى نعرفها اليوم والتى تتمثل فى وجود طائفة من المعلمين المتخصصين الذين تعينهم الدولة لتعليم النشىء لقاء أجر ينالونه على عملهم مشاهرة أو فى كل أسبوع ولكن ما عرف عن المصريون القدماء فى هذا المجال أنه قد كان هناك طائفة من المتعلمين المثقفين الذين يشغلون وظائف ملحوظة فى كافة أعمال الدولة ومرافقها وكان أولئك الكبار من موظفى الدولة يؤدون أعمالهم ويقومون إلى جانب ذلك بتعليم النشىء ، وكانوا يضيفون إلى جانب ما يحملون من رتب وألقاب لقب " المعلم " أحياناً .

وبالطبع لم يكن هؤلاء الكبار الذين يقومون بعملية التعليم يعدون لذلك أعداداً خاصاً لأن مثل هذا الاتجاه لم يظهر إلا فى تاريخنا الحديث نظراً لسيادة الفكرة التى تقول بأن شرط القيام بالتعليم هو أن يكون الإنسان على دراية طيبة بالفن أو الفرع الذى يريد أن يعلمه للآخرين، ومن ثم فإن المدارس أو المراكز التى كانت تعد المهندس أو الطبيب أو الكاتب هى نفسها التى تعد من يقوم بتعليم الهندسة والطب أو الكتابة .

ولعل مما يدعو إلى الإعجاب والفخر أن المصريين القدماء كانوا ينظرون إلى التعليم على أنه واجب على المتعلمين والمثقفين ، فمن الحق عليهم أن يعلموا الناس مما يعلمون ، فإذا لم يفعلوا فقد حق عليهم اللوم ، فالعالم الحق الخليق بهذا الاسم هو من يسعى إلى الناس ليعلمهم ولا ينتظر أن يسعى إليه الناس يطلبون عنه العلم ، شأنه تماماً شأن الطبيب الحق الخليق بهذا الاسم الذى يسعى إلى المرضى ليخفف آلامهم يضمد جراحهم . فهذا نص يرد فيه الحاكم عن مواطن جاء إليه شاكياً ، ففى رد الحاكم صورة من صور اللوم على جوانب التقصير فى عمل هذا الشاكى ومنها أنه لم يعلم أحداً " أنك لم تنطق ساكناً ولم توقظ نائماً ولم تفتح فم من أغلق فمه ، ولم تعلم جاهلاً ، ولم تهذب من خرق" .

وقد كان المتقدمون من التلاميذ – من قرب منهم من النضج – يعينون مساعدين فى المدارس ، وكانت وظائفهم وأعمالهم أشبه شىء بوظائف من كنا نسميهم العرفاء فى الكتاتيب ، وكان أولئك المساعدون يقضون فى المران بين أيدى أساتذتهم ورؤسائهم مدة قد تبلغ أحياناً اثنى عشر عاماً.

والواقع أنه ليس لدينا فى تراث المصريين من الصور والرسوم ما يرينا شكل المربى وهو يدرس أكان يفعل ذلك جالساً أم واقفاً وان كان بين النصوص ما يشير إلى أنه كان يدرس وهو جالس على حصير ، ولم يكن الحصير حصيراً بالمعنى الذى نفهمه اليوم وإنما كان فراشاً بسيطاً على كل حال .

أما الطبقات التى كان ينتمى إليها المربون فى مصر القديمة فقد كانت تختلف باختلاف الظروف والأيان ومكانة من كان يقوم بالتدريس لهم ، هل هم من الأمراء ؟ أم من عامة الشعب ؟

وتبقى كلمة أخيرة :-

أنه بقدر ما رأينا من عظمة الأجداد منذ آلاف السنين ، جعلتهم فى مقدمة شعوب العالم فى عصرهم ، فإننا يجب أن نقف مع أنفسنا ونقارن واقعنا الحالى بالنسبة لدول العالم المتقدم بما كانوا هم عليه ونرفض موقفنا فى ذيل مواكب التقدم والحضارة ، ونعى دروس التاريخ ونتأمله ونبتعد عن الغرور والتفاخر بأمجاد الأجداد وكفى ، بل لا بد من البحث فى مزاياهم والتعرف على أخطائنا ولماذا هم تقدموا ونحن نتخلف ، حتى ننفض عن أنفسنا غبار التخلف ونرقى بمجتمعنا إلى التقدم والرخاء .

(مراجع الفصل الثانى)

١- أحمد بدوى ، محمد جمال الدين مختار : **تاريخ التربية والتعليم فى مصر** - جـ١ (العصر الفرعونى) - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة - ١٩٧٤ .

٢- ديوبولد ب . فان دالين وآخرون : **تاريخ التربية البدنية** - ترجمة محمد عبد الخالق علام . محمد محمد فضالى - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٠ .

٣- جمال حمدان : **شخصية مصر** - جـ٢ - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨١ .

٤- سعد مرسى أحمد ، سعيد اسماعيل على : **تاريخ التربية والتعليم** - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٢ .

٥- سعيد اسماعيل على : **تاريخ التربية والتعليم فى مصر** - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٥ .

٦- سليمان نسيم : **تاريخ التربية القبطية** - دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع - القاهرة - ١٩٦٣ .

٧- عبد العزيز صالح : **التربية والتعليم فى مصر القديمة** - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٠ .

٨- عبد الغنى عبود : **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٨ .

٩- عبد المجيد عبد التواب شيحة : **محاضرات فى تاريخ التربية وتاريخ التعليم فى مصر** - كلية التربية - جامعة المنوفية - ١٩٩٠ .

- الفصل الثالث -

التربية والتعليم فى العصور الوسطى

- مقدمة
- التربية والتعليم فى العصور الوسطى المسيحية

مقدمات ظهور الديانة المسيحية وأسسها

المسيحية والوجود المسيحية ومفهومها عن الإنسان

المسيحية والغاية من الحياة

طبيعة التربية المسيحية واتجاهاتها

- أولاً - مكانة التربية والتعليم فى العصور الوسطى المسيحية
- ثانياً - أهداف التربية المسيحية
- ثالثاً - محتوى التربية المسيحية ومناهجها
-- رابعاً - أنواع التربية المسيحية
- خامساً - وكالات التربية المسيحية ومؤسساتها .

الأسرة الكنيسة

الأديرة المدارس

- طرق التربية والتعليم . - المعلمون
- مراجع الفصل الثالث

التربية والتعليم فى العصور الوسطى

مقدمة :

يصطلح المؤرخون على اطلاق اسم العصور الوسطى على تلك الفترة التاريخية التى أعقبت سقوط الأمبراطورية الرومانية فى الغرب فى نهاية القرن الخامس الميلادى ، وامتدت أكثر من عشرة قرون ، وقد اعتاد البعض تقسيم هذه الفترة التى بلغت حوالى ألف عام إلى قسمين كل قسم حوالى خمسمائة عام ، سمى القسم الأول العصور المظلمة وهى فترة الخمسمائة عام التى تلت سقوط الأمبراطورية الرومانية الغربية (٤٧٦م) وهذه الفترة لم تكن سوى خراب ثقافى أدى إلى هلاك كل ما هو جميل بانتهاء الأمبراطورية الرومانية . كما لو أن مصباح الحضارة قد اطفىء حتى أعيد اشتعاله قليلاً عندما استعادت روما مكانتها (٩٦٢م) مرة أخرى ، وسمى القسم الثانى العصور الوسيطة (فترة التحول) على أساس أنها عصور طورت خلالها حضارة هامة وفريدة ومهدت لعصر النهضة .

فقد صاحب فجر العصور الوسطى اضمحلال المجتمع الرومانى وانهيار ذلك الصرح الشامخ الذى كانت تقوم عليه امبراطورية عظيمة، ولقد ساعد على ذلك الاضمحلال أولئك البرابرة الغزاه الذين جاءوا من الشمال . إذ لم يكونوا قد ارتقوا إلى مستوى ثقافى وحضارى يمكنهم من إدارة شئون تلك البقاع الواسعة وانتهى الأمر بالاستسلام للهزيمة بعد أن تعرض الرجال للفزع والخوف ، واضطر الضعيف إلى

الالتجاء إلى حماية الأقوياء مضحيا بحريته فى هذا السبيل وهكذا امتلأت أنحاء أوربا بمئات القلاع التى تحمى وراء أسوارها مجتمعات معزولة وأصبحت الحروب حرفة تختص بها القلة المميزة ، فى حين عاشت الغالبية البائسة لتقوم بخدمات العبيد ، سعيا للاكتفاء الذاتى ، الأمر الذى كان يؤدى إلى القضاء على الحرف والتجارة والتعليم ، وإلى الهبوط بالمعيشة إلى مستوى حياة القبائل ، وفى الحقبة الأخيرة للقرون الوسطى بدأت نهضة لتحقيق مستوى أرقى من الحضارة فى الظهور تدريجياً ، وان سار التقدم ببطء وعدم انتظام .

وخلال فترة العصور الوسطى ظهر دينان سماويان سيطرا على خريطة العالم ، ففى الغرب كانت المسيحية هى السائدة ووفق تصوراتها كانت الحياة تسير ، وفى الشرق بعد ذلك بقرابة قرنين من الزمان بدأ الإسلام فى الظهور والانتشار السريع ليسود فى الشرق ويحل محل الحضارتين والامبراطوريتين الفارسية والرومانية معاً ، ووفق تصورات الإسلام كانت الحياة تسير فى هذا الشرق .

ولذلك عرفت العصور الوسطى – كما يرى سعيد عاشور – باسم عصور الإيمان بمعنى أن الطابع الدينى هو الذى غلب على تلك العصور ، وتحكم فى أحاسيس الناس ومشاعرهم ، وحدد الإطار العام لسلطة الدولة واختصاصات الحكومة ، ورسم للناس الخطوط العريضة لما ينبغى أن يكون عليه سلوكهم تجاه الحكام من ناحية وتجاه بعضهم البعض من ناحية أخرى ، وتجاه المجتمع الذى ينتمون إليه ويعيشون وسطه ويؤثرون فيه ويتأثرون به من ناحية ثالثة .

وكـان لسـير الحيـاة علـى النمـط المسـيحى انعكاسـها وأثرهـا علـى التربية المسيحية فى العصور الوسطى الأوربية ، كما كان لسير الحيــاة علـى النمـط الإسـلامى انعكاسـها وأثرهـا علـى التربيـة الإســلامية فــى الشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، ومن ثم فسوف نتناول التربيـة فى العصور الوسطى من خلال فصلين يتنــاول أولهمـا التربيـة والتعليـم فى العصور الوسطى المسـيحية ويتناولهـا ثانيهمـا التربيـة والتعليـم فـى العصور الوسطى الإسلامية وسوف نبدأ كل فصل بمدخل يحدد الإطـار العـام للعقيـدة (المسـيحية أو الإسـلامية) وانعكـاس هـذه العقيـدة علــى طبيعـة الحيـاة واتجاهاتهـا ثـم انعكاسـه بعـد ذلـك علـى طبيعــة التربيــة واتجاهاتها العامة .

التربية فى العصور الوسطى المسيحية

مقدمات ظهور المسيحية :

على الرغم من سماوية والهية الديانة المسيحية ، إلا أنها لم تشذ عن تلك القاعدة التاريخية الكبرى – كما يشير سعيد إسماعيل على – وهى أن ظهور العقيدة مثله مثل ظهور الفلسفة والفكر لابد لها من مقدمات تتمثل فى جملة من الاسباب المجتمعية التى يحتم ظهورها وساعدت على نجاح الدعوة إليها وانتشارها ، تمثلت فى الأتى :–

١– التفاوت الطبقى بين أفراد المجتمع حيث تجمعت الثروة والكسل فى ناحية وتجمعت الفاقة والجهد المرهق فى ناحية أخرى ، فغرق السادة فى الترف وغرق العبيد والارقاء فى الشقاء وفسدت حياة هؤلاء وهؤلاء.

٢– أن الفضائل التى كان الرومانى يتحلى بها فى بادىء الأمر – مثل الوطنية والشجاعة وخدمة الوطن – أصبحت من الشعارات البالية القديمة كما انعدمت القوة الروحانية التى كان من المحتمل أن يمنح وجودها الأمل والراحة النفسية ويضفى على الحياة معنى ومغزى بالنسبة للطبقات الدنيا ، كما اندثرت القيم الخلقية التى قد تحد من الاسراف والغنى الفاحش الذى كان عليه الأرستقراطيون وإن توجه طاقاتهم إلى أهداف نبيلة .

٣– الفراغ الدينى حيث تحجرت العقائد الوثنية فى الدولة الرومانية كما تحجرت الديانة اليهودية وتحولت إلى طقوس جامدة لا حياة فيها ،

ومظاهر خاوية لا روح فيها ومن ثم صارت الحاجة إلى دين يعيد الحياة إلى الجسد اليهودى ، وقد تهتك بسبب انغماسه فى الحياة الدنيا وأخذه من اليهودية بالقشور دون اللباب.

٤ – من العوامل التى ساعدت على نجاح الدعوة إلى المسيحية أنها اتخذت طريقا على غير غرار بعض المذاهب الأخرى اتسم بوضوح الخطوط التى تحدد معالمه والتى اعتمدت على العاطفة والوجدان ودعت إلى حب اله مقدس ، والعطف على الغير والخوف من حساب الأخرة ، وبهذا خلق المذهب المسيحى آمالا جديدة فى قلوب وعقول أولئك الادميين الذين أهملهم المجتمع منذ زمن طويل ، فالفكرة الثورية التى نادت بأن الجميع أمام الرب سواء اكسبت تلك الطبقات الدنيا احساسا ظاهرا بالكرامة والثقة فى قدراتهم الذاتية .

٥– كان أيضاً من دواعى أطراد نمو المسيحية وانتشارها تلك الروح الحماسية والمثل الخلقية العالية التى كانت طابع المسيحيين الأوائل، الذين عملوا على بناء مجتمع نظامى لحد كبير تسوده الحماسة، وجدير بأن يضطلع بدور قيادى فى الوقت الذى كانت الحاجة لذلك ماسة . فانتشار المسيحية لم يكن فقط بسبب حاجة العالم إليها فقط، ولكن مع هذه الحاجة كان لابد من جهاد رسلها دعاتها، وأن يكون الدعاة والرسل على كفاية عالية وهو ما توفر للسيد المسيح وتلاميذه.

مقومات الديانة المسيحية وأسسها :

يشير سليمان نسيم إلى أن أسس المسيحية كديانه كما حددها قانون الإيمان المأخوذ نصوصه عن الكتاب المقدس تقوم على .

١ - الإيمان بإله واحد خلق وقادر على كل شيء (ضابط الكل) من صفاته فى نظر المسيحية رحمته المتناهية وعدله الكامل .

٢- الاعتقاد بثلاثة أسرار هامة هى :-

أ - سر التثليث . الاب ، الابن ، والروح القدس .

ب - سر التجسد . أى أن الاله أخذ جسدا .

جـ - سر الفداء أو خلاص الانسان من خطيئته الأولى ووسيلته العمودية ، ثم انتظار يوم الدينونة الأخيرة الذى فيه يقوم الأحياء والأموات إلى حياة دائمة .

فرحمة الرب المتناهية وعدله الكامل اقتضت تقديم فدية ينال بها الإنسان الصفح والغفران ولم تكن هناك فديه تتسم مطلب العدل والرحمة ، إلا الفدية من جانب الله نفسه ، لأن الفدية يجب أن تكون طاهرة من كل عيب ودنس ، مقدمة بلا لوم ، وليس فى كائنات العالم بأسرها من هو طاهر ومقدس ، وبلا عيب سوى الله جل جلاله ، ومن هنا نشأت مشكلة أخرى هى أن الله لا جسد له يقدمه فديه عن العالم فلم يكن بد من أن يتخذ الله جسد ، فيه يتحدد اللاهوت والناسوت ، وهذا ما تم فى السيد باعتباره الله ظهر فى الجسد ، ومن ثم كان السيد

المسيح – فى نظر الكنائس المسيحية – هو ابن الله . ارسله إلى العـالم ليفتدى به البشر من خطيئة ابيهم ، ولم يرسل الله ابنه إلى العـالم ليديـن العالم بل ليخلص به العالم .

فالمسيحية تقوم على أن الإنسان قد ورث الخطيئة التى ارتكبها أبو الخلق آدم ، فالشوك لا يثمر تينا " ولذلك صار جميع نسل هذا الانسـان الأول فاسدا كفساده فالخطيئة لم تقتصر على الأبوين اللذين عصيا ، بل امتدت بحكم التناسل من ذات الدم الموبوء بالخطيئة إلى البشرية كلها .

وليـس معنـى بنـوة المسيح للـه – فـى المسـيحية – تعـدد للالهـه فالمسيح كان يؤكد على مبدأ الوحدانية وأنه ليس يوجـد غير إلـه واحد والمسيح ليس إلها آخر ، أنه والأب جوهر واحد وكيان واحد ، فـالأب والإبن والروح القدس جوهـر واحد غير منقسم ، فالمسـيح إلـه (منذ الأزل) من طبيعة الأب ، وإنسان (من وقت التجسد) من طبيعة أمه، وهو بذا إله كامل وإنسان كامل .

والواقـع أن المسـيحيين لـم يتفقـوا علـى إلوهيـة الأب يسـوع (أى المسيح) ومساواته للأب وعلـى طريـق الوفـاق بينهـم عقدت المجـامع الكنسية عدة مرات ولكنها انتهت – فيمـا أنتهت إليـه – إلـى مزيـد مـن الخلاف وصل إلى حد إنقسام الكنيسة إلى كنيسة شرقية (ارثوذكسـية) وغربية (كاثولوكية) وكان من نتيجة هذه النهاية ، مالاقاه إقباط مصر (الارثوذكس) من أذلال واضطهاد تحت حكـم البيزنطيين قبيـل الفتـح الإسـلامى لمصـر ، ثـم مـاصمم عليـه الغـرب مـن انتقـام فـى الحـروب

الصليبية لامن المسلمين وحدهم ، بل ومن المسيحيين أيضاً ، المنشقين على كنيستهم الكاثولوكية .

وإذا كنا قد تحدثنا عن بعض المبادىء المسيحية كما حددها قانون الإيمان ، فإن المبادىء المسيحية لا تقتصر على هذا القانون ، لأن هذا القانون ليس إلا الإطار التى وضحت فيه المسيحية كعقيدة ، فللمسيحية نظراتها وآرائها الأخرى – المكملة لهذا القانون – فى الوجود والإنسان ومصيره والغاية من الحياة بالإضافة إلى مستويات السلوك ومبادىء المعاملة المفروض أن يتبعها المسيحى فى المجتمع الذى يعيش فيه . وسوف نتناول بعض هذه القضايا أو المبادىء ، وكيف انعكست هذه المبادىء على التربية المسيحية :

١- المسيحية والوجود :

ترى المسيحية أن أصل الوجود يرجع إلى الله نفسه ، وأنه ابدعه بكلمة قدرته ، فالله الأب ضابط الكل خالق السماء والأرض
ومالايرى ، فالوجود صادر عن ارادة الله إذ لاشىء يمكن أن يوجد خارج الله ، ويعتقد المفكر المسيحى أن الله تصور كل المخلوقات قبل أن توجد ، وكون لها صورة عقلية لم تلبث أن خرجت إلى الوجود فى وقت معين طبقا لارادته الخالدة . ولذلك لا تعترف المسيحية بالاساس المادى للوجود ، كما أنها لا تأخذ بنظرية تعدد الالهة التى سادت فى العصور الماضية .

وقد انعكست هذه النظرة إلى الكون والوجود على خطة التربية المسيحية ، فقد رأى المربى فى هذه العقيدة حجر الزاوية الذى ينبغى

أن يقوم عليه البناء التربوى كله ، فالايمان هو المعرفة اليقينية بجواهر الاشياء ، ولكى يصل المسيحى إلى هذه المعرفة يجب أن يدرب نفسه بالتأمل وسيصل بعد ذلك إلى حقيقة هامة هى أن الذى يعلمه ويرشده هو الله نفسه ، وبذلك تصبح حياته وكأنها صلاة مستمرة – أى صلة لا تنقطع – بينه وبين الله .

فالتربية الروحية تشكل جانبا هاما من جوانب التربية المسيحية ، ونقطة البداية فيها تعريف المؤمن بأبوة الله ومحبته وعنايته بجليفته ، ثم حثه على أن يبادله هذه المحبة " تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك " ويتجلى شعور المؤمن بأبوة الله له حين يخاطبه فى الصلاة " أبانا الذى فى السموات " والاستزادة من محبة الله ليست فقط لعلاقته معه ، وإنما لعلاقته مع المجتمع من أصدقاء وأعداء ، يحبهم فى الله لأن " الله محبة " .

٢- مفهوم الإنسان فى نظر المسيحية :

إذا كان الله أصل الوجود فإن المسيحية ترى أيضاً فى الإنسان قمة هذا الوجود الذى خلق على صورة الله ومثاله ، خلق حرا عاقلا مريدا ، فلما سقط فى الخطيئة وانحرف إلى اتباع شهوة الحسن وابتعد عن الله مصدر خيره ووجوده ، فلكى يعيده الله إلى صورته القدسية الأولى ، أخذ مثله جسدا لكى يفتديه من خطيئته ، فاقترنت بذلك عقيده التجسد بعقيدة الفداء وقامت على أساس هاتين العقيدتين عقيدة الإيمان بأسرار سبعة تمنح المؤمنين بها نعمة النمو الروحى الباطنى الذى يمكنهم من الاقتراب إلى المثل الأعلى كما ظهر فى السيد المسيح .

والواقع أن التجسد وأن كـان عقيدة إلا أن لـه نتـائج تربويـة هامـة تظهر أولا فى تطهير الطفل من خطيئة الأولى بواسطة العماد (عمليـة تغطيس الطفل فى ماء مقدس ثلاث مرات ، بمعنى تغيير طبيعة الطفل ونقلها من الطبيعة الإنسانية إلى الطبيعة الالهية ، فـالمولود مـن الجسد هو جسد أما المولود من الروح فهو روح ، وكـل مـن ولـد مـن اللـه لا يخطىء ، بل المولود من الله يحفظ نفسه ، والشر لا يمسه) ثم بتدريبه خلال مراحل نموه المختلفة على النمو فى الفضيلة ليصل إلـى صـورة البر التى وجد عليهـا الإنسـان قبـل الخطيئـة ولكـن الإهتمـام بـالنواحى الروحية لا يعنى إستبعاد العقـل أو اهمالـه بـل أن العقل يسبق الإيمـان بمعنى أن الإنسان قبل ان يؤمن لابد أن يقتنع بوجوب الإيمان وأهميته.

٣ – المسيحية والغاية من الحياة :

الغاية من المسـيحية تهيئـة الحيـاة الأفضـل للإنسـان علـى الأرض وأن يكون له نصيب فى ملكوت السموات ولذلك يزخر الكتاب المقدس بالحث على الزهد فى محبة العالم ، والعزوف عن الشهوات والاهـواء، واعتبارها عداوة لله وتغليـب الـروح علـى الجسـد ، والإهتمـام بادخـار الأعمال الصالحة لكنوز فى السماء ، والدعوة إلى إنكار الذات والتناهى فـى بـذل المحبـة لأجـل الأخريـن دون اعتبـار لطبقـاتهم الإجتماعيـة أو قومياتهم أو جنسياتهم ففى هذه المبادىء ضمـان للحصـول علـى الحيـاة الأبدية .

وقد انعكس رأى المسيحية فيما يجب أن تكون عليه الغاية من الحياة ، على التربية المسيحية تمثل فى ظهور لونا من فلسفة التربية تعتبر أساسا للسلوك المسيحى وتقوم على أساس الزهد فى زخارف الدنيا ، والعزوف عن ملذاتها حتى المحلل منها ، ضمانا لارتقاء الروح وصفاء النفس وراحة الضمير راحة مطلقة ، وقد استتبع ذلك الشعور بعدم الاكتراث بالموت واحتقار متاع الدنيا ، وإن الألام بالنسبة للشخص وسيلة للخلاص ، أما آلام الآخرين فيعتبرها آلامه هو شخصيا فيعمل على محاولة تخفيضها ، كما انعكست هذه الأمور فى حرص التربية المسيحية على الدعوة إلى بعض الاتجاهات التربوية التى تسهم فى تكون السلوك المسيحى النموذجى ، والتى تمثلت فى ضرورة التأمل وتدريب النفس على احتمال الآلام فضلا عن مشاركة الأخرين فى آلامهم والعلاقات الزواجية السامية والحياة العائلية المستقرة والإهتمام بتربية الأطفال وتهيئة البيئة المناسبة لتوصيلهم إلى هذا المستوى الروحى الرفيع.

– طبيعة التربيه المسيحية واتجاهاتها :

أولا – مكانة التربية والتعليم فى العصور الوسطى المسيحية :

كان التعليم والتربية بالنسبة للمسيحية ضرورة ووظيفة فمن ناحية أن المسيحية دين تبشيرى لابد لانتشاره من التعليم ، فقد وجد الناس فيها دعوة جديدة ومبدأ جديد وحياة جديدة ، لذلك عملوا على أن يحيوها وينقلوها بدورهم إلى الأجيال الناشئة ، ومن ناحية أخرى أن التعليم أصبح عنصرا أساسياًمن عناصر حياة الجماعة المسيحية ومقوما أساسيا من مقومات وجودها واستمرارها ، ومما زاد من أهمية التعليم كأداة حيوية للكنيسة المسيحية فى مصر ، أنه كان موضع اهتمام المصريين منذ أقدم العصور كما سبق الذكر .

ومن هنا الحقت بكل كنيسة مدرسة للتعليم المسيحى لتعليم الكبار والصغار جميعا ، فقد كانت عادة المسيحيين – كما أكدت شهادة مؤرخ الكنيسة فى القرن الرابع " يوسابيوس" – أن ينشئوا المدرسة فى كل مكان ينزلون فيه ، ومما زاد من أهمية وضرورة انشاء هذه المدارس أن الثقافة المسيحية أو بمعنى أوضح الحياة فى ظل مبادىء المسيحية ، كانت تختلف بالطبع اختلافا جوهريا عنها فى ظل مبادئ الوثنية الاغريقية اليونانية ، ولذلك كان حتما أن تنعزل الجماعة المسيحية الجديدة عن المجتمع الرومانى وتكون وحدة مستقلة قائمة بذاتها . وهو ما أدى إلى ظهور نوعين من المدارس فى مصر فى العصر القبطى مدارس ذات أصل وثنى ومدارس للتعليم ونشر المسيحية ، ولذلك كان

طبيعيا أن يقوم صراع بين الوثنية والمسيحية ، استمر حتى انتصرت المسيحية وأصبحت فى نهاية القرن الرابع وبالتحديد سنة ٣٧٩ م .

وإذا كان المسيحيون قد عانوا من الضيق والاضطهاد سواء من الدولة الرومانية والوثنية أو من الكنيسة المركزية بالقسطنطينية وإذا كان الاضطهاد قد زادهم تماسك وثبات فإن هذا التماسك والثبات فى مواجهة الاضطهاد كان وراءه ولا شك خطة تربوية استهدفت أعداد المواطن القبطى فى هذه الفترة لمواجهة المجتمع الذى يطارده ويضطهده سواء كان اضطهادا دينيا ، (اضطهاد العهد الوثنى ، الذى استمر من ٦٠م حتى صدور المرسوم الدينى للتسامح ٣٠٣م) أم اضطهاداً مذهبيا (اضطهاد العهد المسيحى والذى استمر حتى دخول العرب مصر ٦٤٠م ، واضطهد فيه المواطن الارثوذكى ، المؤمن والمتمسك بمذهب الطبيعة الواحدة) .

- ثانيا- أهداف التربية المسيحية :

اتسمت الاغراض التربوية فى المسيحية بالسمو والوضوح وإمكان انتشارها فى محيط عالمى إذا ما قورنت بالمبادىء الوثنية كما اختلفت الاهداف التربوية من عصر إلى عصر آخر ، ولكن بصفة عامة تمثلت هذه الأهداف فى الأتى :-

١- تنشئة الأجيال الجديدة فى ظل الإيمان باله مقدس كامل الخلق، وتوجيهه ليعيش حياة يرضى عنها الاله حتى يضمن الخلاص الأبدى فى الآخرة .

٢- الاصلاح الخلقى للفرد وفقا للمثل العليا التى نادى بها السيد المسيح، من خلال محاربة الانحلال والفجور اللذين سادا فى روما على وجه الخصوص ، وتقديم مجموعة من الفضائل الجديدة لتحل محل الرذائل الوثنية باحلال البساطة محل الترف ، والطهارة محل الخلاعة ، والدقة محل التهافت ، والانسانية محل الشراسة ، والحب الاخوى محل الانانية ، وانطلاقا من أن إصلاح المجتمع لا يمكن أن يتم إلا من خلال الأفراد الذين يكونونه .

ثالثا- أنواع التربية المسيحية :

اقتضى تحقيق الهدفين السابقين نوعين من التربية :

الاعداد الدينى ويتمثل فى أعداد الاشخاص لممارسة الشعائر والطقوس الدينية المسيحية ، **والأعداد الخلقى** والذى يتمثل فى أعداد الاشخاص لاكتساب القيم والمبادىء التى دعا إليها المسيح عليه السلام.

وقد اعتمد تعليم هذين النوعين على الشعور اكثر من الفكر ففى بداية ظهور المسيحية لم يكن هناك تعليم فكرى ، ولكن حينما داخل فى المسيحية إناس متعلمون قدم العلم الفكرى أعداثاً لطائفة من الافراد ، للقيام بالدفاع عن الدين بالحجة العقلية ، وكانت دراسة الفلسفة والمنطق وغيرها من العلوم العقلية ، وقد اكتفى المسيحيون الأوائل من الرياضة والموسيقى بقدر من التدريب الموسيقى البسيط الذى يعين على أداء العبادات.

رابعا – محتوى التربية ومناهجها :

فى ضوء ما تم عرضه عن أهداف التربيةومحتواها ، غلب الطابع الدينى الخلقى على محتوى التربية ومناهجها ، فقد تضمنت تعليم الناشئة تعاليم الكتاب المقدس وحفظ بعض المزامير والألحان الكنسية، كما كانت تدرس لهم طرق الصلاة وشروطها واغراضها والتأملات الروحية وتفاسير الكتاب المقدس وسير الأباء والشهداء ، وكل ما يتعلق بأصول العقيدة المسيحية مع تفسيرها وشرحها .

كما أضيف إلى المناهج السابقة دراسة الطب والرياضيات التقليدية والتى كانت معروفة لدى القدماء المصريين مثل حساب المثلثات ... والمساحات والموازين والمكاييل ... وغيرها . وكذلك تعلم اللغة ، فحتى منتصف القرن الثانى كانت اللغة الأساسية التى تعلم للأطفال هى اللغة اليونانية إلى أن وضع " نبتينوس" الأبجدية القبطية وأصبحت اللغة القبطية تعلم بدورها فى المرحلة الأولى وحتى القرن الخامس . بالاضافة إلى تعلم بعض الصناعات والحرف التى كانت موجوده من قبل واستمرت فى العصر القبطى فى المنازل والمصانع والأديرة مثل صناعة النسيج والخشب والتجليد والخزف والمسارج والأوانى المعدنية والشمعدانات والمباخر والتحف المعدنية والزجاج فضلا عن زخارفها الممتازة .

خامساً – وكالات التربية ومؤسساتها :

تعددت وسائط التربية ومؤسساتها وقد شملت ما يأتى :

١- الاسرة :

إذا كانت الاسرة تعد من أهم الوسائط فى أى تربية فإنها تزداد أهمية إذا كانت التربية قوامها الدين ، وهو ما كان حادث بالفعل بالنسبة للتربية المسيحية فقد احتلت الاسرة مكانا مرموقا فى الدور التربوى لتكوين الشخصية المسيحية وخاصة فى مصر ، فالمصرى ربما أكثر من غيره الصق بأسرته وأطوع ، ومن هنا كان تأثير الاسرة عليها خطيرا ، ونستدل على ذلك بقول أحد رجال الدين المسيحى " إذا كان المجتمع يعتبر الاسرة نواة المجتمع وأساس تماسكه فإن الكنيسة تعتبر الاسرة خميرة الإيمان المباركة التى توضع فى ثلاثة أكيال من دقيق لتخمير العجين كله ، فالأسرة المسيحية هى أساس نمو وبنيان وامتداد كنيسة الله المقدسة ، ولا يمكن أن نتصور وجود كنيسة بدون عائلة " .

ففى الاسرة المسيحية الأولى كان الطفل يتعلم الفضائل المحبة والصدق والشجاعة والخدمة والتعاون وحسن المعاملة والطاعة والنظام والنظافة وكيفية ممارسة ألوان العبادة المختلفة ، وكان ذلك يتم بالقدوة من والديه ولذلك أوجبت التربية المسيحية على الأباء أن يكونوا قدوة صالحة لابنائهم ، وأن يصادق كل من الأب والأم طفله ، فيثق الطفل بوالديه ويتعلم منهم ".

والواقع أن الاسرة أو المنزل القبطى قد اتسم بعدة أمور انعكست بصورة واضحة على تنشئة الابناء وتربيتهم وتمثلت فى :-

أ - اكرام المسيحية للطفولة وضرورة اهتمام الأباء بتربية أبنائهم.

ب – اكرام الوالدين وطاعتهم .

جـ- استقرار الاسرة القبطية على أسس روحية (منـع تعـدد الـزواج – تحريم انفصال الزوجين إلا بالموت أو الخيانة الزوجية – التبتـل... وغيرها) ..

د – الاهتمام بالعبادة العائلية حيث كان يوجد فى كل منزل – كما يؤكـد يوسـابيوس – حجـرة تخصـص للعبـادة تسـمى القلايـة أو الحجـرة المقدسة ، وفى هذه الحجرة يمارس كل أفراد الاسرة ألـوان العبـادة المختلفة ، مع قراءة كتب الأنبيـاء وترتيـل الالحـان والتـدرب علـى الفضائل التى تعد أساس للسلوك الروحى .

٢- الكنيسة :

تعد الكنيسة من أهم المؤسسات التربوية المسيحية نظرا لأن خطـة الكنيسة فـى التربيـة لـم تقتصـر علـى الصغـار كالاسـرة ولكنهـا شـملت الكبار والصغار والاباء والأبناء كما شملت توجيه الامهات والاباء إلـى الوسائل الروحية التى يجب اتباعها مع اطفالهم لضمـان تحقيـق الهـدف الأساسى من التربية الروحية وهو التمثل بالسيد المسيـح للوصـول إلـى حيـاة الكمـال فـى الفكـر والقـول والسـلوك مـع الاحبـاء والاعـداء مـع المؤمنين والغرباء عن الايمان .

كذلك لم تعلم الكنيسة الاطفال فقط أو توجه الاباء والامهات ولكنها علمت العلماء أيضاً . والواقع أن دور الكنيسة القبطية لـم يقتصـر علـى قبول الإيمان المسيحى لنفسها ، بل عملت علـى نشـر هـذا الإيمـان فـى

الاقطـار البعيـده التـى لـم تكـن قـد آمنـت بالمسـيح ، وككنيسـة تبشـيرية ارسلت من قبلها مرسلين إلى بلاد عديدة لهذه الغاية .

ولم تكن الكنيسة تتطلب من الراغبين فى الإيمـان بالمسـيحية أكـثر من السير فى طريق المسيح ، طريق الالام ، طريق التطهر الذى يرفع السائرين فيه إلى مرتبة من السـمو الروحـى يقنـون عندهـا فـى المسـيح ويصبحون من رفاقه فى ملكوت السموات مملكة الله الأتية .

وقد اشترطت الكنيسة قبل أن تعترف بمسيحية الطفل أن ينـال سـر العماد ، وهى توصى أن يتم ذلك فى الثلاثة أشهر الأولى مـن عمـره ، ولذلـك تنـوب عنـه أمـه فـى الاعـتراف بالإيمـان بالمسـيح وتتعهـد أمـام الكاهن أن تربيته تربية فاضلة ، وتنتهز الكنيسة هذه الفرصة لتوجه إلى الوالدين الكثير من النصـائح والوصايـا التـى تتصـل بتربيـة الطفـل فـى معرفة الله ، وعندما يصل الطفل إلى مرحلة البلـوغ ، توجهـه الكنيسـة إلى ممارسة " سر التوبة " وأهم خطواتـه الاعـتراف بالخطـأ علـى أبيـه الروحى وهو الكاهن ، فالمعموديه وإن جودت الطفل الا أنه حين يكـبر يتعرض للخطأ نتيجة الصراع الطبيعى بين نزعتى الخير والشر ، فماذا يكون موقفـه إذا أخطـأ؟ يجـب أن يتـوب وأن يرجـع بارادتـه عـن حيـاة الخطيئـة ، ويتـابع تدريـب نفسـه علـى حيـاة الفضيلـة ، ولكـن ممارسـة الفضيلة تحتاج إلى توجيه خاص يقوم على أسـاس الميـول والاتجاهـات الخاصـة بكـل فـرد ، وهـذا مـا يحققـه سـر التوبـة أو سـر الاعـتراف ، ولاهمية الاعتراف وقيمته الروحية والنفسـية لـم يكـن يختـار لممارسـته سـوى الكهنـة المختبرين الذيـن امضـوا فـى الخدمـة مـدة كافيـة ، هـذا

الاعتراف ليس مجرد التحدث مع أحد من الناس عن خطيئتك ، وليس مجرد الصلاة إلى الله ولكنه أحساس عميق بخطيئة معينة والندم عليها، وإعلان هذا الندم أمام الله والقسيس ليس له سلطة أن يغفر الخطايا ولكنه مجرد خادم الله يعاود الفرد على التأكد من قبوله غفران الله كما هو معلن فى الكتاب المقدس ويرشده إلى الطريق الصحيح للتغلب على مشكلاته .

مما تجدر الاشارة إليه أن الطقوس تعد جزء أساس من طبيعة الكنيسة ذاتها ، ومن فلسفتها فى الاثارة الروحية ، فمنهج التعليم عن طريق الطقوس هو المنهج الارثوذكى للتعليم ، كما أن للألحان مكانة خاصة فى التربية الكنيسية ، وهى تختلف ما بين مناسبة وأخرى ولكنها عامل مشترك فى الطقوس الكنيسية كلها ، كما احتلت الصور فى الكنيسة الارثوذكية مكانة خاصة لما لها من تأثير فى النفس من حيث أنها تذكير بفضائل القديسين أصحابها .

٣- المدارس :

اهتم المسيحيون الأوائل بإقامة بعض مدارس التعليم المقدس وبانتشار المسيحية انتشرت هذه المدارس ، وقد كانت هذه المدارس ملحقة بالكنيسة أو فى الكنيسة ذاتها واقامة المدرسة إلى جوار الكنيسة كان نتيجه طبيعية لرعاية الكنيسة للاطفال والطفولة .

وقد شملت هذه المدارس نوعين :

أ- مدارس المرحلة الأولى وقد شملت نوعين متميزين من المدارس :

– مدارس الصغار .

– مدارس الموعوظين الكبار .

وكلا النوعين كان ملحق بالكنيسة ويقوم بالتعليم فيه معلمو الكنيسة وكانوا فى أول الأمر – بالنسبة للموعوظين – من المتقدمين سنا وحكمة وبتطور وانتشار المسيحية وزيادة الحاجة إلى التعليم النظامى بالمدرسة اوكل الامر إلى خدام الكنيسة أنفسهم ، وكانوا يختارون بعد فحص وتدقيق ليقوموا بخدمة التعليم فى دقة وأمانة ، وهؤلاء كان عليهم أن يجتازوا أولا مراحل اعداد وتلمذة واختبار طويلة تؤهلهم لهذه المهمة الخطيرة مهمة التعليم .

ب– مدارس مرحلة التعليم العالى (التخصص) وكان مركزها مدينة الاسكندرية ممثلة فى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، خاصة وإن الاسكندرية كانت مركز البابا ومركز الحياة العقلية والعلمية إلى حد أن المؤرخين اعتبروها عقل العالم المسيحى وقاعدة الفكر فيه ، ذلك أن قادة المجامع المسكونية من بابوات وعلماء الاسكندرية كانوا من خريجى مدرستها اللاهوتية العريقة .

وعلى الرغم من أن جامعات اللاهوت لم توجد بالاسكندرية فقط وإنما وجدت فى أنحاء العالم المسيحى فى انطاكية بسوريا وفى نصيبين بالعراق وروما وميلان بايطاليا ثم فى مرسليا وبوردو بفرنسا وأثينا باليونان ، فإننا نستطيع الجزم بأن مدرسة الاسكندرية بصفة خاصة قد فاقت هذه المدارس جميعا .

وقد كانت منـاهج التعليـم العـالى بالمدرسـة اللاهوتيـة بالاسـكندرية تشتمل على تعليم أصـول العقيـدة مـع تفسـيرها وشـرحها كمـا تضمنـت بعض الدراسات التى تنمى قوى التفكير .

الملاحظة مثل الدراسـات العلميـة البحتـه كالهندسـة وعلـم وظـائف الأعضاء والفلك ثم الفلسفة والشعر والاخلاق وكانت طريقة التعليم بهذه المدرسة هى طريقة الحوار وكـان التدريـب علـى الحـوار أحـد الطـرق الهامة التى يستخدمها الاساتذة فى تدريسهم .

٤ – الأديرة :

يعد النظام الديرى – الذى عرف باسم نظام ديرية الشركة أو حيـاة الجماعة داخل الدير – التطور الطبيعى لنظام الرهبنه التوحديـة الاولـى والتى نشأت أصولها على صفـاف النيـل فـى أواسـط القـرن الثـالث فقد انتقل نظام الرهبنة من هـذه الحركـة الانفراديـة إلـى الحركـة المعروفـة بحركة الحياة أو الشركة الأجتماعية وهى التى نمت علـى يـد عـدد مـن آباء الكنيسة علـى رأسـهم الأنبـا بـاخوميوس (٢٩٤ – ٣٥٦ م) الـذى نظم حياة الرهبان فى شكل اجتماعى بحيث يعيش الجميع داخل جدران دير واحد ، يأكلون معا ويصلون معا ويدرسون معاء ويشتغلون لكسـب الرزق ومن مبادئهم أن يعيشوا فقـراء متبتلين يخدمـون اللـه ويطيعـون رؤسائهم.

والواقع أن ظهور الحركة الديريـة يرجـع فـى أساسـه إلـى عوامـل انسانية طبيعية لعل أهمها الظروف الطبيعية القاسـية التـى كـانت تحيـط

بالمتوحدين كأخطار الصحراء والأزمان النفسية والحاجة إلى أب مرشد فضلا عن الأفتقار للعناية أثناء المرض أو الخطر المفاجئ ، ومن الناحية السياسية كانت الحكومة الرومانية تثير بين وقت وآخر الاضطهاد.

أما عن مدى ما قام به الدير من دور فى التعليم فقد حدد باخوميوس " فترة اعدادية " لطالب الرهبنة الجديد يقضيها الطالب فى التلمذه على أحد شيوخ الدير ليختبر مدى استعداده للحياة الجديدة وحدددت هذه الفترة بثلاث سنوات كان يتحتم فيها على الطالب أن يتعلم القراءة والكتابة وأن يحفظ عن ظهر قلب عشرون مزمورا ورسالتين من رسائل العهد الجديد ، فكان النظام الجديد يعمل على نشر التعليم بين الرهبان ، والواقع أن فترة التعلم التى امتدت إلى ثلاث سنوات كانت كافية لاتقان القراءة والكتابة ، فلم يكن ثمة خوف من أن ينتكس الراهب إلى الأمية خصوصا أنه سيواصل الأطلاع والأستزادة من الدراسة والتحصيل .

أما عن دروس الدير فقد نظمت فى ثلاث دروس يومية فى الساعات الأولى (ساعات الفجر الأولى) والثالثة الساعة ٩ صباحا) والسادسة (١٢ ظهرا) للمبتدئين ، ودروسا أخرى عامة يومى الأربعاء والجمعة لتفسير الكتب المقدسة والتعاليم المسيحية وكان حضور هذه الدروس اجباريا ، كما كان لمكتبة الدير دور هام فى التعليم ، والتى كان لها خازن من النساخ والكتبة يفتح بابها لطلاب البحث والقراءة ، وقد اشتملت المكتبة على اجزاء الكتاب المقدس وأقوال الأباء وأعمال الشهداء وقوانين وشرائع وكتب الصلوات يكتبون

تراجم لسير الأباء ، وردود على الخلافات العقائدية واللاهوتية واضيف إليها بعض كتب القصص والتاريخ والأدب وقواعد اللغة القبطية .

ونظرا لأن حياة الدير كانت تقوم على أساس الأكتفاء الذتى من النواحى المادية ولذلك لم يقتصر واجب الراهب على مجرد اداء العبادات والقراءات والواجبات الروحية المختلفة ، وإنما امتدت إلى ضرورة مساهمته فى خدمة الدير ماديا ، فكان العمل اليدوى أو المهنى ضرورة يحتمها نظام الدير بهدف تحقيق غرضين أحدهما الغرض الروحى بانشغال الراهب بعمل يلهيه عن التفكير فى أمور الدنيا وشرورها والغرض الثانى خدمة الدير نفسه أى خدمة الجماعة وكانت أعمال الرهبان وأنتاجهم عاملا من عوامل كسب القوت ، فقد كانوا يبيعون انتاجهم للبلاد القريبة ثم يأخذون احتياجاتهم وما تبقى يعطونه للمعوذين وفى ذلك أبراز لفلسفة التربية الاجتماعية .

وأهم الأعمال المهنية التى كان يقوم بها الرهبان فى الأديرة صناعة الحصرو المقاطف من سعف النخل ، وفتل الحبال الليف والحدادة والنجارة والحياكة والفلاحة والطهى وأعمال الخبز والعجن والبناء فضلا عن أعمال النسخ والكتابة وكان غالبا ما يختار طالب الدير عملا من هذه الاعمال ليساهم فى خدمة الدير مع التدريب عليها من خلال فترة اعداد قصيرة .

والواقع أن الدير كان بمثابة جامعة شعبية من نوع فريد نزح إليه طالبوا العلم والمعرفة والفضيلة والباحثون عن التأمل فلم يكن غريبا أن يتخرج عدد كبير من العلماء والفلاسفة حملوا عبء حفظ تراث الإنسانية الثقافى والعلمى خلال عصور الجهل والظلام .

سادساً - طرق التربية والتعليم :

اشتملت هذه الطرق على ما يأتى :

(١) ضرب المثل :

كان من أدوات المسيح فى التعليم نمط الإقبال فى كل قالب من قوالب الأمثال فمن نماذج المثل الذى يعول على الرمز مثل الزارع والبذور " زارع خرج ليزرع وفيما هو فى الطريق سقطت بعض البذور فجاءت طيور السماء وأكلته ، وسقط بعضها الآخر فى مكان محجر خفيف التربة فنبتت على الأثر ثم لم يلبث أن أشرقت عليه الشمس فاحترق ، وإذا لم يكن له عمق فى جوف الأرض جفا ، وسقطت بعض البذور بين الشوك فطلع شوك وخنقه فلم يثمر ، وسقط غيرها فى الأرض الجيدة فأعطى ثمراً يصعد وينمو ، فأتى واحد بثلاثين وآخر بمائة ، من له أذنان للسمع فليسمع " .

ومن نماذج المثل الذى يعول على الحكمة " بالكيل الذى تكيلون يكال لكم " ، " من ثمارهم تعرفونهم " .

ومن نماذج المثل الذى يعول على القياس " إن كنتم تحبون من يحبونكم فأى فضل لكم ؟ ومنه فى تبكيت من ينكرون عليه صحبة الخاطئين " لا حاجة بالأصحاء إلى طبيب وإنما المرضى يحتاجون إلى الأطباء " .

٢- طريقة الحوار أو السؤال والجواب :-

وهى الطريقة التى عرفت قديماً فى تاريخ التربية بالطريقة السقراطية أو " فن توليد الأفكار " وقد وجدت فى الطريقة فى المدرسة

اللاهوتية حيث كان التدريب على الحوار أحد الطرق الهامة التى يستخدمها الاساتذة فى تدريسهم ، فكان الاستاذ يسأل عن التعريف المناسب لمعنى من المعانى معنى الخير مثلاً أو الشر أو الفضيلة ... الخ ، فإذا أعطى الطالب تعريفاً كان هذا التعريف مدار بحث ومناقشة مركزة على هيئة السؤال والجواب ، وفى ظل هذه المحاورات حل للكثير من المشكلات الفكرية والدينية .

٣- طريقة الحفظ والاستظهار :

وقد ارتبطت هذه الطريقة بحفظ الكتاب المقدس ورسائل العهد الجديد ، وبعض المزامير والألحان الكنسية ...... وغيرها .

٤- القدوة الحسنة :

فحياة السيد المسيح كانت نموذجاً يحتذى لجموع اتباعه فى سلوكه وأخلاقه وطرائقه فى التعليم ، وكذلك السيدة العذراء والرسل والبابوات والشهداء ، ومن الطقوس الثابتة فى الكنيسة ايقاد الشموع أمام صور القديسين ، فكما يشع نور الشمعة كذلك يشع نور هؤلاء القديسين على المجتمع تطبيقاً لقول السيد المسيح " أنتم نور العالم " . ومن الكنيسة انتقلت فكرة تعليق صور القديسين على حوائط البيت لتضع أمام الكبار والصغار جميعاً نماذج للفضيلة والكمال ، وفى الصلاة تقرأ سير القديسين كنماذج للفضيلة والثبات فى الجهاد الروحى ، وقد كانت كل كنيسة تحتفظ لديها بسجلات خاصة عن شهدائها تسجل بها تواريخ استشهادهم ، كما لم يقتصر اهتمام الكنيسة بالتعليم عن طريق المثل

العليا الممثلة فى أشخاص الشهداء المنتقلين فقط بل والإحياء منهم أيضاً.

سابعاً – المعلمون :–

يؤكد سليمان نسيم أن الكنيسة – منذ فجر المسيحية – تولى أعداد المعلم اهتماماً خاصاً ، فحددت الشروط التى ينبغى أن تتوافر فيه من النواحى الروحية والنفسية والاجتماعية بالإضافة إلى قدرته على التعليم والرعاية وكان المعلم الكنسى يمنح درجة كهنوتية تبدأ بالشموسية ثم القسوسية ، وقد تنتهى إلى الأسقفية ، بشرط أن يكون قد مر بمرحلة تلمذة ، واعداد يختبر خلالها اختباراً دقيقاً فإذا ثبت أنه (بلا لوم) وأنه قد وصل إلى درجة من النضج الروحى والنفسى يطمأن إليه عهد إليه بمسئولية التعليم ، وقد اشترطت الكنيسة فى المعلم أن يكون طاهراً نقياً لا يشارك فى الكلام الدنس ، وأن يكون مدققاً فى سلوكه فيلاحظ نفسه والتعليم ، ويلزم توجيهات مرشده الروحى ، ونص الكتاب المقدس على أن المعلم يجب أن يكون قدوة فى الكلام والتصرف والإيمان وأن يكون أميناً لرسالة التعليم ، فلا يألو جهداً فى خدمتها، كما أوصى القديس بولس بأن المعلم يجب أن يكون متحرراً من الخرافات ثابتاً صبوراً قادراً على تكوين العلاقات الإجتماعية السليمة مع مختلف الطبقات والأعمار فى رفق وحزم ولكى تقبله الكنيسة بين معلميها يجب أن يكون قد أثبت كفاية فى تدبير بيته ورعاية أسرته ، وتربية أولاده وهذه الشروط نص عليها الكتاب المقدس .. ونصت عليها أيضاً قوانين وتعاليم الرسل والأباء .

أما من ناحية اعداده للقيام بالتعليم ، فكان على المعلم أن يعكف على القراءة ويداوم عليها ليكون قادراً على التمييز بين العلم الكاذب والعلم الحقيقى وليكون لديه الاستعداد أن يواجه المنحرفين والمضلين ليفحمهم أو يتجنبهم ، وكان اكتشاف المواهب الشخصية أو بمعنى أدق اكتشاف النفس وتوجيه الاستعدادت الخاصة للفضائل الروحية من توجيهات الكنيسة الهامة لمعلميها ليكون نموهم فى رسالتهم وفى فضائلهم الشخصية ظاهراً ليس أمام المسيحين فقط ، بل أمام غير المسيحين حتى لا تلام الكنيسة فى شخصه من أحد ، ولذلك أوصت الكنيسة بضرورة ألا يكون المعلم حديث الإيمان ، بل أن يكون قد وصل إلى مستوى رفيع من النضج الروحى والنفسى والاجتماعى ، فحددت سن الأسقف بأربعين عاماً ، وسن الكاهن بثلاثين ، والشماسى بخمس وعشرين باستثناء الناضجين قبل بلوغهم هذا السن .

وعلى الرغم من ضرورة توفر كل هذه الشروط فيمن سيتولى مهمة التعليم ، فإن الواقع يشير إلى أنه لم تكن هناك هيئة قائمة بالتدريس أو مختصة به ، حيث كان التعليم جانباً من وظيفة الكاهن أو الأسقف وقادة الكنيسة ، ولم يكن المدرس يعين بشهادة أو بالحصول على درجة جامعية أو باجتياز امتحانات معينة عقب مناهج نظامية وإنما كانت تكفى شهادة بأنه درس على معلم معروف وأنه قادر على تعليم غيره ، فاعداد المعلم وتخريجه كان أساساً قائماً على فكرة التلمذة، فلما ظهرت الرهبانية وتطورت إلى الديرية ، أصبحت الصحراء مجالاً لاعداد المعلم والخادم الراعى .

- مراجع الفصل الثالث -

١- بول مترو : **المرجع فى تاريخ التربية** جـ١ ، ترجمة صالح عبد العزيز - مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٩ م .

٢- ديوبولد ب فان دالين وآخرون : **تاريخ التربية البدنية** ، ترجمة محمد عبد الخالق علام ، محمد محمد فضالى ، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٠م .

٣- ر.هـ. بك : **التاريخ الاجتماعى للتربية** ، ترجمة محمد لبيب النجيحى - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٣ .

٤- سعد مرسى أحمد ، سعيد اسماعيل على : **تاريخ التربية والتعليم** - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٢م .

٥- سعيد اسماعيل على : **تاريخ التربية والتعليم فى مصر** - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٥م .

٦- سليمان نسيم : **تاريخ التربية القبطية** - دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع - القاهرة - ١٩٦٣م .

٧- عباس محمود العقاد : **عبقرية المسيح** - كتاب اليوم - دار أخبار اليوم - يناير - ١٩٥٣م .

٨- عبد الغنى عبود : **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٨م .

٩- عبد المجيد عبد التواب شيحة : **محاضرات فى تاريخ التربية وتاريخ التعليم فى مصر** - كلية التربية - جامعة المنوفية - ١٩٩٠ .

الفصل الرابع

التربية والتعليم فى العصور الوسطى الإسلامية

- مقدمات
- مقومات العقيدة الإسلامية
- طبيعة التربية الإسلامية واتجاهاتها

أولاً – أهداف التربية الإسلامية

ثانياً – منهج التربية الإسلامية ومحتواها

ثالثاً – وكالات التربية الإسلامية ومؤسساتها

– الكتاب – المسجد – المدرسة – وكالات أخرى

رابعاً – طرق التعليم وأساليبه

– الحفظ والاستظهار – الأسوة الحسنة – الترغيب والترهيب

– التجربة الشخصية والرحلة – القصص وضرب الأمثال – التكرار

خامساً – المعلمون

– مراجع الفصل الرابع

التربية والتعليم فى العصور الوسطى الإسلامية

مقدمة :

بعد مرور ٥٧١ عاماً على مولد السيد المسيح ، ولد المهدى فى شعاب مكة ، فاجتمعت بمولده رسالات السماء فى رسالة واحدة تخاطب العقل ، وتتخذ من هذا العقل منطلقها إلى صحة العقيدة وتصنع للناس – فى كل زمان ومكان – اطارا عاماً عريضاً للحياة الفاضلة فى مجتمع مثالى ، طالما حلم به الفلاسفة ولم يجدوا إلى تحقيقه سبيلاً .

والواقع أن الإسلام قد نزل فى وقت اشتدت الحاجة إليه ، فالحاجة كانت مهيأة تماماً لنزول الإسلام سداً للفراغ الدينى القائم بسبب انتشار الوثنية وبسبب الحروب بين الأديان الكتابية من جانب ، وبينهما وبين الفرق الدينية فى داخل الدين الواحد من جانب آخر ، فقد كان الشرق – وقت ظهور الإسلام – مرتعاً خصيباً للاضطرابات الدينية والخلافات المذهبية فقد كانت الحرب لا تزال مستعرة نارها بين اليهودية والمسيحية من جهة ، وكانت الفرق المبتدعة الخارجة عن النصرانية تتصارع مع بعضها من جهة أخرى ، كما كانت الوثنية تنازع هاتين الديانتين – اليهودية والمسيحية من جهة ثالثة .

ولم يكن ممكناً سد هذا الفراغ إلا بإصلاح العقيدة الدينية فى نفوس الكتابيين والوثنيين على السواء ، حتى تستقيم الحياة الإنسانية ، وبدون هذا الإصلاح لم يكن ممكناً أن تستقيم هذه الحياة .

- **مقومات العقيدة الإسلامية :**

١- توحيد الله وطاعة والإيمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء ، حيث يقول الحق فى كتابه الكريم ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] وهناك الآيات الكثيرة التى وردت بشأت التوحيد من هذه الآيات ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم** ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ **قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ [سورة الإخلاص] .

فمن عناصر الإيمان ، الإيمان بوحدانية الله والإيمان بالرسل السابقين وبرسالتهم ، وعدم التفرقة بين أحد منهم ، وكذلك الإيمان باليوم الآخر .

٢- الإسلام دين الفطرة ، فبالفطرة السليمة يستطيع الإنسان يلتفت حوله فيرى الله فى كل شىء وأن يرتد إلى نفسه فيرى الله داخله ، وفى كل مخلوق من مخلوقاته وفى كل مكان من حوله .

فكل ما فى الكون صورة حيه لقدرته واقتداره ولبديع صنعه ولكمال ارادته .

٣- الإنسان خليفة الله في الأرض ، فالإنسان في الإسلام ليس مجرد مخلوق كغيره من المخلوقات الكثيرة وإنما هو سيد هذه المخلوقات بحكم ذلك الاستخلاق الذي كرمه به ربه يوم خلقه ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال اني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وكانت هذه المنزلة التي احتلها الإنسان بين بقية خلق الله بما فيهم الملائكة المقربون هي التي احقدت عليه أحد عباده المقربين وهو إبليس ففسق عن أمر ربه ، حين أمر الله الملائكة أن يسجدوا لهذا المخلوق الذي كرمه ، وكان جزاؤه الطرد من رحمة ربه ، لتبدأ - بعد هذا الطرد - ملحمة الصراع بين الإنسان والشيطان أو بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومحور خلافة الإنسان استخدام العقل وتحمل التكاليف وأداء الأمانة من خلال ما يتعلم المرء ويحقق به الأدراك والفهم ، والتمييز بين الخبيث والطيب ، وهو في ذلك يتميز عن سائر الكائنات حتى الملائكة لأنها تفعل ما تؤمر ، ولا تملك أن تفكر في أمر ما ، أو أن تتدبره ، أما الإنسان فهو الكائن المهيأ للتفكير وتحمل المسئولية والأمانة.

ولقد خلق الله الإنسان خليفته في الأرض في أحسن صورة وجعله أحسن خلقه باطناً وظاهراً جمال هيئة وبديع تركيب ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ [التين : ٤] .

ويذكر القرطبى فى تفسير هذه الآيـة أن اللـه قد خلق آدم وذريته على أحسن ما يكون اعتدالا ، لأنه خلـق كـل شـىء منكبـاً علـى وجهه وخلقه مستوياً وله لسان ذلق ويد وأصابع يقبـض بهـا ، مزينـاً بـالعقل . مؤدياً للأمر . مهذباً بالتمييز ، سديد القامة يتناول أكله بيده .

هذا الإنسان المكرم سخر الله سـبحانه وتعـالى لـه مـا فـى الأرض والسماء ولكى يتمكن من أداء وظيفته كخليفـة للـه فـى الأرض ، سـخر الله له ما فى الأرض براً وبحراً ، ومكنه من السيطرة عليها والتصرف فيها بالعقل وبالعلم ، بل أن الله سخر لـه أيضـاً مـا فـى السـموات فقال تعالى ﴿ **الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فـى الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** ﴾ [لقمان : ٢٠] .

٤- ان اللـه خلـق النـاس جميعـاً لعبادتـه ، وعبوديـة الإنسـان للـه شرف فبها تتم عزته وبها يتحقق صلاح أمره ، وقد أرسل اللـه الرسل جميعاً إلى البشر ليأمروهم بعبادته سبحانه وتعالى ، بل أن جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام يصفهم الله سبحانه بأنهم عباده .

قال تعالى : ﴿ **وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ [الذاريات : ٥٦-٥٨] .

وقال أيضاً : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [البقرة : ٢١] .

وقد يظن بعض الناس أن العبادة تقتصر على أداء الصلاة وصيام رمضان وإيتاء الزكاة وحج البيت بعد الشهادة بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما عدا ذلك فليس بعبادة ، والصحيح أن العبادة شاملة لكل ما يقوم به الإنسان من عمل أو فكر أو شعور ما دامت وجهته إلى الله تعالى ، فالعبادة منهج حياة يستغرق كل الحياة ويشتمل على ما يقوم به العبد من أقوال وأعمال أو أحاسيس أو أى جزء من سلوكه .

فعن ابن أبى شيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " كل معروف صدقة " وعن أبى ذر أن ناساً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا للنبى . يا رسول الله ذهب الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم . قال " أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون . أن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة " ، قالوا . يا رسول الله يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر . قال "أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر " . فكل قول أو عمل يقوم به الإنسان هو عبادة ، إتيانه شهوته مع زوجه عبادة ، وكف أذاه عن الناس عبادة ، والوجه البشوش مع الأصدقاء عبادة ، والرحمة بالذين يعملون عنده عباده ، والسعى فى الرزق عباده لها أجر المجاهد فى سبيل الله ، والرفق بالحيوان حتى فى الذبح عبادة ، وازالة الأذى عبادة – وغيرها من

أمور الإنسان بشرط أن يقوم بها بنية خالصة لله . فالإنسان يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله سبحانه وتعالى يراه .

٥- إن التقوى والعمل الصالح هو الأساس فى التفاضل بين الناس عند الله ، فالله عز وجل جعل جميع أفراد الجنس البشرى عند ميلادهم متساوين لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بما يعمله فقط ، ولعل أبلغ دليل على ذلك هذا النداء الإلهى للناس كافة .

{ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير } [الحجرات : ١٣] .

فلا فرق بين الناس بسبب الأنساب إذ لا تنفع الأنساب عند الله ولا يكرم شخص لأصله أو نسبه ولا يخذل فرد لمجرد ضعف نسبه بل العمل هو الأساس فى الفضل بين الناس عند الله قال تعالى : { فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون } [المؤمنون : ١٠١].

٦- إن كل فرد مسئول عن عمله فإذا كان الله قد هيأ له كل الإمكانات وكرمه وسخر له كثيراً من مخلوقاته كان عليه أن يتحمل كل إنسان نتيجه عمله هو ، وما قدمته يداه ، ولا يحمل وزر غيره ولا يحمل وزره أحد ، فالفرد لا يسأل عما يعمله أبوه أو ابنه قال تعالى : { ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى } [الأنعام : ١٦٤] وقال أيضاً { وكل إنسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك

حسيباً . من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً } [الاسراء: ١٣-١٥] .

وإذا كان كل فرد مسئول عن عمله فإن من رحمة الله بعباده أنه لم يكلفهم بمسئولية أكثر مما يطيقون ومن ثم فمسئوليتهم كاملة عما يعملون .

قال تعالى : { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت } [البقرة : ٢٨٦] .

- طبيعة التربية الإسلامية واتجاهاتها :

تعرف التربية الإسلامية بأنها النظام التربوى القائم على مبادىء الإسلام بمعناه الشامل ، فلقد كانت التربية هى السبيل الذى سلكه محمد عليه الصلاة والسلام لأحداث أعمق تغير أيديولوجى عرفه التاريخ فى نفس الإنسان بل استطاع أن يجند رجالا يقضون على معاقل الشرك والوثنية فى مكة ويقيم للإسلام دولة فى الجزيرة العربية ثم يقيم اتباعه من بعده امبراطورية كبرى تحل محل اكبرامبراطوريتين فى ذلك الوقت وهما الفرس والروم وكل ذلك فى أقل من ثلث قرن من الزمان.

والتربية التى أحدث بها محمد صلى الله عليه وسلم هذا التغير اتسمت بعدة خصائص تمثلت فى الآتى :

١- أنها تربية مستمرة فهى تربية لا تنتهى بفترة زمنية معينة ولا بمرحلة دراسية محددة ، وإنما تمتد على طول حياة الإنسان كلها ،

تربية من المهد إلى اللحد . فالبرنامج التربوى الإسلامى يبدأ قبل ميلاد الإنسان من خلال أمر الزوج بحسن اختيار زوجته – ويستمر حتى نهاية حياته ، ولا شك أن ما تضمنه القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من حث المؤمنين على طلب العلم وارتشافه من مناهله من المهد إلى اللحد ، كان دافعاً لتعلق المسلمين بالعلم ، بحيث عد طلبه والسعى إليه تقليداً من تقاليد الإسلام ، فليس فى الإسلام نهاية أو سن محددة لطلب العلم حيث يقول الزرنوجى فى كتابه " تعليم المتعلم طريق التعلم " أنه لا عذر لصحيح الجسم والعقل فى ترك طلب العلم مهماً كان عمره ، وسئل أبو عمرو ابن العلاء " حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ أجاب ما دامت الحياة " ، وسئل حكيم " ما حد التعليم ؟ فأجاب حد الحياة " ، ويرى ابن قتيبة أنه لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل .

٢- انها تربية شاملة تتفق مع شمول نظرة الإسلام إلى الإنسان حيث جمعت التربية الإسلامية منذ أول ظهور الإسلام بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم ، فهى تعنى بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية دون تضحية بأى نوع منها على حساب الآخر ، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالاعتدال فى العبادة وينهى عن صوم الدهر وكان يقول " إن لبدنك عليك حقاً " وكان عمر رضى الله عنه ينصح المسلمين بأن يعلموا أولادهم الرماية والسباحة وركوب الخيل .

٣- انها تربية متكاملة بمعنى أنها لا تقتصر على مكان دون مكان فهى تتم فى المسجد والمدرسة والشارع والحقل وميدان القتال ... وغيرها ، وكل إنسان فى هذه التربية المتكاملة متعلم ومعلم ، طالما كان لديه ما يعطيه - والرسول صلى الله عليه وسلم يقول " الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو أولى الناس بها " فلا كبير على العلم فى الإسلام ولا يزال الإنسان - على حد تعبير الرسول الكريم عالماً ، حتى إذا ظن أنه قد علم فقد جهل ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعلم من أصحابه ما لا يعلمه وكان فى الوقت ذاته يعلمهم فى المسجد والشارع والمنزل وفى كل مكان يكون التعليم فيه ضرورة وكان الخلفاء الراشدين من بعده أساتذة معلمين قبل أن يكونوا حكاماً ، فقد كان الفاروق عمر - رغم شدته وتشدده - يعلم الناس ويتعلم منهم وكم كان سعيداً عندما ردته امرأة مسلمة فى المسجد وقال قولته المشهورة أصابت امرأة وأخطأ عمر " .

٤- أنها تربية تقوم على الحرية وسبيلها الاقناع والقدوة الحسنة حتى فيما يتصل بمسائل العقيدة حيث يقول الحق تبارك وتعالى { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين } [النحل : ١٢٥] .

٥- أنها تربية تقوم على الحث على التعلم والتعليم وتهيئه الفرص التعليمية لطالبيها ، حيث كانت فرص التربية والتعليم متاحة لكل أفراد المجتمع المسلم طالما كانت لدى الفرد القدرة والاستعداد الشخصى

لعملية التعلم ، فالفقر لم يقف عائقاً أمـام الراغب فـى العلـم أو السـاعى إليه ، حيث كانت عناية المدرسين بتلاميذهم الفقراء تصل بهم إلـى حـد الإنفـاق عليهـم مـن مـالهم الخـاص كمـا حظـى هـؤلاء الطـلاب الفقـراء بنصيب موفور من أوقـاف الأغنيـاء ، كمـا كـانت توجـه عنايـة خاصـة للطلاب الموهوبين الذين تبدو عليهـم مخـايل الذكـاء أو الفطنـة ، وكـان يعـد مـن الظلـم أن يحـرم طـالب نـابغ مـن تلقـى العلـم لأى سـبب مـن الأسباب، حيث قال الإمام الغزالى " أنه ليس الظلم فى إعطاء العلم لغير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق " .

كما لم تكن عناية واهتمام المجتمع الإسلامى بالمتعلمين تقـف عنـد حد الطلاب الفقراء أو الموهوبين بل امتدت كذلـك إلـى المعوقيـن يعبر عن ذلك كثرة الاعلام والمشاهير الذين لمعوا من هذه الفئات والذين مـا كانوا ليشتهروا أو ينبغـوا لـولا العـون الاجتمـاعى علـى المسـدى إليهـم لتخطى عوائقهم ، فضلاً عن سموهم بأنفسهم عن العاهات التى أصيبـوا بها ، وقد اهتم المؤرخون والمؤلفون فـى التراجم بـالحديث عـن أشـهر من كان فى زمنهم من المعوقين أو نبغ فى أنواع العلـوم والفنـون التـى ارخوا لها ، وللمشتغلين بها بل أن بعضهم خـص هـذه الفئـات بالتـأليف مـن هـؤلاء الجـاحظ ، الهيثـم بـن عـدى ، صـلاح الديـن الصفـدى .... وغيرهم .

٦- أنها تربية سلوكية عملية فهى لا تكتفى بالقول إنما تتعـداه إلـى العمل والممارسة حيث يمارس فيها المتعلم ما يتعلمه ، وقد كان صحابة الرسول الكريم – المعلم الأول – يحفظون آيـات القـرآن عشـر آيـات ،

عشر آيات لا ينتقلون من عشر آيات منها ، إلا إذا ترجموها إلـى واقـع حى وسلوك عملى ينتقلون بعدها إلى الآيات العشر التالية ولذلك جـاءت الآيات القرآنية لتقرن بين الإيمان والعمل ، ﴿ **والعصر أن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنـوا وعملـوا الصالحـات وتواصـوا بـالحق وتواصـوا بالصبر** ﴾ (العصر) .

ويؤكـد رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم علـى ذلـك فـى حديثـه الشريف " أشد الناس حسرة يوم القيامة رجلان رجـل علـم علمـا فيرى غيره يدخل الجنة بعمله لعمله به ، وهو يدخل النار لتضيعه العمل به ، ورجل جمع المال من غير وجهـه ، وتركـه لوارثـه فعمـل بـه الخـير ، فيرى غيره يدخل به الجنة ، وهو يدخل النار " .

فلا فائدة من التغيير لو اقتصر على مجرد الحصول على معـارف ومعلومات جديدة ، فالتغيير الذى تحدثه التربية لابد أن يكون تغييراً فى السلوك ، صحيح أن تغيير السلوك لا يتم بصـورة سليمة إلا إذا سبقته القاعدة المعرفيـة ولكـن مـن الصحيـح أيضـاً أن هـذه القـاعدة ليست إلا وسيلة لغاية وأداة لتحقيق هدف هو الممارسة الفعلية لقيمة ما أو لاتجـاه ما .

٧- انها تربيـة فرديـة واجتماعيـة معـا ، فالتربيـة الإسـلامية تقـوم على تربية الإنسان تربية فردية ذاتية فهى تربية على الفضيلـة وتحملـه مسئولية أعماله وتصرفاته فكل امرئ بما كسبت رهين وكل مسـلم راع وهو مسئول عن رعيته ، وفى نفس الوقت يربى الإسلام الفرد تربية

اجتماعية فالمسلم أخو المسلم ، والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، وهى تربية تجرد الفرد من روح الأنانية البغيضة " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ، " ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم".

أولاً – أهداف التربية الإسلامية ودوافعها :

تحددت دوافع وأهداف التربية الإسلامية فى الأتى :

١- إعداد الإنسان العابدلله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وما خلقت الجن والإنسن إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، وطريقة عبادة الله وخشيته إنما تكون بالعلم ، فالعلم هو سبيل التقوى الصحيحه إلى معرفة الله عز وجل ، والعلماء هم الذين يخشون الله ويتقونه ، ولذلك حث الإسلام على العلم والسعى فى طلبه وفضل أهله على غيرهم ورفعهم درجات ، فالفرائض الإسلامية الواجبة على المسلم تستلزم التعلم ولذلك أمر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة والوضوء لها ، ويدربوهم عليها ويؤدبوهم بها ، ليسكنوا إليها ويألفوها فتخف عليهم إذا انتهوا إلى وجوبها عليهم ، وهم لابد إذا علموهم الصلاة أن يعلموهم من القرآن ما يقرؤنه فيها .

٢- التقرب إلى الله تعالى ، فالإسلام جعل تعليم الأطفال القرآن من القربات وعبادة من أفضل العبادات فقال النبى صلى الله عليه وسلم " من علم ولدا له القرآن قلده الله قلادة يعجب بها الأولون والأخرون

يوم القيامة " " مجلس فقه خير من عبادة ستين سنه " ، " تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربه ... " ، " ومن خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع " ، وغيرها الكثير .

٣- تقوية الروابط بين المسلمين ودعم تضامهم وخدمة قضاياهم ويتم ذلك عن طريق ما تقوم به التربية الإسلامية من توحيد للأفكار والمشارب والاتجاهات والقيم بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وبهذا تكون التربيه الإسلامية عاملاً فعالاً فى تماسكهم ووحدتهم وجمع شملهم وتكتيل جهودهم وجعلهم جميعاً على قلب رجل واحد .

٤- من دوافع تعليم المسلمين لأولادهم إيمانهم بأن التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر ، وكذلك إيمانهم بأن العلم فى الصغر أرسخ أصولاً وأبسق فروعاً ، حيث اعتبر المربون المسلمون أن السنوات الأولى من حياة الطفل هى فترة المرونة والقابلية للتعلم ، وتطور المهارات والقابلية الشديدة للتأثر بمختلف المؤثرات ، قال الإمام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه " إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها شئ إلا قبلته " .

ثانياً – منهج التربية الإسلامية ومحتواها :

على الرغم من أن التربية الدينية والخلقية كانت المحور الذى دارت حوله التربية الإسلامية ، حيث كانت المواد الرئيسية للمنهج –

خاصة فى المرحلة الأولى – هى القرآن وأصول الدين أو تعليم الأطفال بعض المبادئ الأساسية للدين ليشبوا على معرفة الدين علما وعملا ، والنحو لإعراب القرآن والعربية لفهم معانيه ، والهجاء والخط لكتابته والترتيل والوقف لحسن قراءته والنطق به صحيحاً . على الرغم من كل ذلك اشتمل المنهج كذلك على الحساب والشعر والتربية الرياضية وكذلك كل ما من شأنه أن يساعد فى إعداد الصبى المتعلم لمهنة أو لحرفة أو إلى تنمية مهارة من المهارات اليدوية لديه ، باعتبار أن التدريبات المهنية هى من مستلزمات التقدم الحضارى .

وفى حالة تعليم أبناء الأمراء وحكام المستقبل تضمن منهج تعليمهم الخطابة وعلم الأخبار والملاحم وطرق مجالسة الناس إلى جانب العلوم الأساسية كالقرآن والشعر والفقة .

فالمناهج لم تقتصر فى عصور الإسلام القوية على العلوم والدراسات النظرية والدينية ، فالإهتمام بالجانب الدينى والخلقى لم يحول دون عناية المربين المسلمين بالعلوم العقلية واللغوية والرياضية وبالموسيقى واللعب والنشاط الرياضى ، كما ان المربين المسلمين لم يكن يمنعهم من تغيير المنهج وتطويره مانع مادامت مصلحة المتعلم ومصلحة المجتمع متفقة مع هذا التغيير والتطوير إنطلاقاً من الحكمة الرائعة للإمام على بن أبى طالب " لا تقسروا أولادكم على آدابكم ، فإنهم مخلقون لزمان غير زمانكم " .

ثالثاً – وكالات التربية الاسلامية ومؤسساتها :

عرف المجتمع الاسلامى ، عددا من المؤسسات التربوية التى تمثلت فى الآتى:

١- الأسرة :

الأسرة هى البيئة التى يتشرب منها الأبناء قيمهم ومعاييرهم ونظرتهم فى الحياة فمن الأسرة يأخذ الطفل دينه فيظل على فطرته مسلماً أو يعتنق المسيحية أو اليهودية أو المجوسية ، ولن يكون هذا وذلك الا بناء على تعليم الأبوين وتوجيههما ، وفى هذا روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " ما من مولود الا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " .

وفى الأسرة يجد فى الأم الحضن الذى يأوى إليه فيشعر بالأمن والحنان والحب وفى الأب يجد المثل والوقاية والمنقذ ، وفى الاخوة والأخوات يجد تلاميذ مدرسة الأسرة الذين يأخذ عنهم مالم يحصله من الوالدين ، ولذلك أحاط الاسلام الأسرة بعناية فائقة فهى فى الإسلام أية من آيات الله قرن تكوينها بتكوين العالم أجمع وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ...﴾ [الروم أية ٢١]. ثم قال ﴿ ومن أياته خلق السموات ووالأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ... ﴾ [آية : ٢٢] .

وفى الفقه الاسلامى كلام طويل عن نظامها ورسالتها ، فهناك كلام كثير عن كيفية تكوينها (الزواج) وتبادل الواجبات بين أطرافها

و(حضانة الأولاد وأسلوب النفقة وآداب العشرة) أثارها الروحية والخلقية ، باعتبارها امتداد للنوع الانسانى والعقائد والعبادات والأخلاق التى أمر بها الاسلام وقام عليها .

ولقد أكد الاسلام على أن تربية الأبناء من مسئوليات الأبوين بحكم واجب الرعاية ، مصداقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راعى ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته" متفق عليه .

فالأطفال أو الأبناء يمثلون رعية الأب والأم وسيسئل كل منهما عن تلك الرعية فأما يحفظها وأما يضيعها ولذلك فمن حق الأبناء على آبائهم حق التربية والتعليم ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه المسلمين إلى تربية أبنائهم وفق منهج الله فيقول " أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن " وقال أيضاً " لأن يؤدب الرجل ولده أو أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع " كما أمر الرسول بحسن أدبهم وتربيتهم ، وفى ذلك يروى عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول اله صلى الله عليه وسلم قال " ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم " ، وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن ماجه " أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم " وفيما رواه مسلم والنسائى "علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم " ويقول أيضاً "

مروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى فذلك وقاية لهم من النار" رواه ابن جرير وابن المنذر .

وتربيه الأبناء وتنشئتهم – من المنظور الاسلامى – على الحق والهدى أثمن وأغلى ما يورثه لهم آباؤهم ، بل أن ذلك أبقى وأنفع لهم من المال الزائل ، والذى قد يكون سببا من أسباب الفساد وفى ذلك يقول الامام على كرم الله وجهه " ثلاثة هى أفضل ما يورثه الأباء للأبناء الثناء الحسن ، والأدب الصالح ، والأخوان الثقات " .

وقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم فى تعليم الأولاد أمثلة عملية فى مواقف عديدة منها ما روى عن عمر ابن أبى سلمه أنه قال "كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدى تطيش فى الصفحة ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم " **يا غلام سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك ، فما زالت تلك طعمتى بعد".**

والتربية فى محيط الأسرة تقوم على عدة مبادئ أكد عليها الاسلام، من هذه المبادئ العطف والحنان ، فقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم أن حنان الوالدين وعطفهما وحنوهما على الأطفال هو حجر الزاوية فى تربيتهم ، فعن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل أمامه بنت زينب رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى لأبى العاص بن الربيع فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها ، عن أسامه بن زيد رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذنى فيقعدنى على فخذه ،

ويقعد الحسن على فخذه الآخر وثم يضمنا ثم يقول " اللهم ارحمهما فإنى أرحمهما " . وعن أبى قتادة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " أنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها ، فأسمع بكاء الطفل فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه " فالرسول يختصر القراءة فى الصلاة ولا يطيل إذا سمع بكاء طفل مع أن الصلاة حبيبة إلى قلبه وقرة عينه ، فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم أنه فى احدى الصلوات قرأ فى الركعة الأولى نحو ستين آية ، فسمع بكاء طفل فقرأ فى الركعة الثانية ثلاثا آيات ، وقد بلغ عطف الرسول عليه الصلاة والسلام على الأطفال أنه أنذر من لا يلاطف الأطفال ولا يقبلهم بأنه لن يرحم يوم القيامة. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال أن الأقرع بن حابس أبصر النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال أن لى عشرة من الأولاد ما قبلت ولدا واحداً منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من لا يرحم لا يرحم " ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت " جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال " أتقبلون الصبيان ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة " .

ومن المبادىء التى أكد عليها الاسلام فى التربية الأسرية العدل بين الأبناء ، لما له أثر هام وثمار طيبة فى التربية والتنشئة ، فالقرآن يؤكد العدل على الاطلاق حتى لو كان على النفس يقول الله تبارك وتعالى فى محكم التنزيل ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ [النساء : ١٣٥].

كما أكدت السنة المطهرة على ضرورة العدل بين الأولاد فى مواقف متعددة ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " سووا بين أولادكم ولو كنت مفضلا أحداً لفضلت النساء " أخرجه الطبرانى والبيهقى .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : أعطانى أبى عطية فقالت أمى : عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " أنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يارسول الله قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال لا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، اتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم ، قال فرجع فرد عطيته " رواه البخارى .

وفى رواية مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يابشير ألك ولد سوى هذا " قال نعم ، فقال أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال لا ، قال : فلا تشهدنى اذا ، فانى لا أشهد على جور .

بل أن الرسول يأمر بالعدل بين الأبناء حتى فى القبل وفى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " أعدلوا بين أبنائكم ولو فى القبل " . كذلك يعد جانب القدوة فى تنشئة الطفل وتوجيهه من الجوانب الهامة فى عملية التربية الأسرية ، فالقدوة فى الأب وفى الأم هى أول ما يقع عليه نظر الطفل قبل توجهه إلى الشارع أو المدرسة أو المسجد ، القدوة فى أعمالهما وفى أقوالهما وسلوكهما ، فتنشئة الطفل على فضيلة الصدق

مثلا لابد أن تبدأ بالسلوك والقدوة من الأبويين قبل أن يوجهاه أو يرشداه إليها ، ولذلك حذر الرسول الأم وهى تحاول اسكات طفلها عن البكاء مثلا أو ترغبه فى شىء أن تلجأ إلى أن تقول لأطفالها كذب فيتعودوا على ذلك ، فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " من قال لصبى هاك (أى أقبل وخذ شيئا يعده به) ثم لم يعطه فهى كذبة "، وعن عبد الله بن عامر رضى الله عنه قال : دعتنى أمى يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى بيتنا ، فقالت تعال أعطك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما أردت أن تعطيه ؟ قالت أردت أن أعطيه تمرا ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم " أما أنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة ".

والواقع أن توفير جانب القدرة فى محيط الأسرة يقتضى من جميع أفرادها أن يكون سلوكهم مطابقا لأقوالهم وتوجيهاتهم ، وألا يأمر أحدهم بشيىء ويأتى بغيره أو بشيئ آخر مناقص له ، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى متعجبا ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ..﴾ [البقرة آية : ٤٤] .

ويقو ل الرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤكدا على أهمية أن يكون عملنا مطابقا لعلنا " أشد الناس حسرة يوم القيامة رجلان ، رجل علم علما فيرى غيره يدخل الجنة بعلمه لعمله به ، وهو يدخل به النار لتضييعه العمل به ، ورجل جمع المال من غيرى وجهه وتركه لوارثه فعمل به الخير ، فيرى غيره يدخل به الجنة وهو يدخل النار " .

وفى ذلك أيضاً لا بد أن نذكر قول الشاعر :

يـا أيهـا الرجـل المعلـم غـيره — هـلا لنفسك كـان ذا التعليـم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا — كيمـا يصح بـه وأنـت سـقيم
ونـراك تصلـح بالرشـاد عقولنـا — أبدا ، وأنت من الرشاد عديم
لا تنـه عـن خلـق وتـأتى مثلـه — عـار عليك إذا فعلـت عظيـم
ابدأبنفسـك فانههـا عـن غيهـا — فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنـاك يـقبـل أن وعظـت ويقتـدى — بالقول منك وينفع الـتعليـم

٢ - الكتاب :

يرتبط إسم " الكتاب " فى الاذهان بتعليم القرآن الكريم ممـا جعـل البعض يعتقد أن نشأته تعود إلى ظهور الاسلام ، لكن الحقيقة تشير إلى أن الكتاب قد وجد أولا لتعليم القراءة والكتـاب وهـو مـا يعنـى أن نشـأة الكتاب ترجع إلى ما قبل ظهور الاسلام .

فالكتاب كمكان يتعلم فيه الصبيـه القـرآن الكريـم لـم يظهـر إلا فـى وقت مبكر بعد ظهور الإسلام ، ذلك أن منهاجه مبنى على القرآن ممـا يجعل وجوده متوقفـا علـى وجـود حفظـه للقـرآن الكريـم ، وبذلـك كـان الكتاب مؤسسه لتعليم الصغار القرآن الكريم منذ الصدر الاول للإسلام، نجده فى القرى الصغيرة النائية كما نجده فـى المـدن الكبيرة العـامرة ، لأنه اصبح بسبب صلته بالدين من ضروريات الحياة الدينا والأخرة .

وكانت أدوات الدراسة فى الكتـاب لا تتجـاوز المصحـف الشـريف وعدة الواح يكتب عليهـا الصبيـان ، وكذلـك عـدد مـن الـدوى والاقـلام

(أنابيب من الغاب) ، وهناك وتدا ومسمار تعلق عليه الألواح أو المصاحف فى خرائطها ، هذا إلى جانب أناء الماء الذى يغسل به الصبيان الواحهم ويمحون ما فيها ليكتب فيها الجديد ، واناء الماء الذى يشرب منه الأطفال فى الكتاب .

وتذكر لنا المصادر المختلفة أنه على امتداد تاريخ الأمة الإسلامية وإلى عهد قريب وجد نوعان من الكتاتيب النوع الأول وهو كتاتيب ينشئها المعلمون انفسهم ، ويُرسل الاباء إليها أولادهم ليتعلموا مقابل أجرة تدفع إلى صاحب الكتاب ، أما النوع الثانى فهى كتاتيب أنشأها الحكام والموسورون لتعليم الأطفال الايتام أو الفقراء منهم ، وكانوا يوقفون على هذه الكتاتيب الأوقاف للأنفاق عليها وسميت هذه الكتاتيب بمكاتب السبيل أو الأيتام وهم الفئة التى انشئت من أجلهم هذه الكتاتيب.

– وعلى الرغم من أنه لم تكن هناك سن معينه للالتحاق بالكتاب ، إلا أن هناك اشارات كثيرة توحى بأن سن الصبى كان يتراوح بين الخامسة والسابعة بل أن بعض الاشارات أكدت أن سن السادسة كانت بداية لهذا التعليم ، ويرجع السبب فى ذلك أن هذه السن هى سن التمييز، وسن التحفظ من النجاسات كما أنها هى السن التى يتهيأ الطفل فيها للتعليم – فالطفل فى هذه السن يكلف بالصلاة والاداب الشرعية ، كما أن الطفل فى هذا السن ليس فى حاجة إلى من يأتى به إلى الكتاب.

وبالرغم من كل ذلك فلم يكن سن السادسة هو القاعدة لإلتحاق الطفل بالكتاب بل كانت هناك حالات يذهب فيها الأطفال إلى الكتاب دون هذا السن كما لم تكن هناك مدة محددة للفترة التى يقضيها الطفل

فى الكتاب ، وإنما كان يرجع ذلك إلى مدى استعداد الطفل وقابليته للتعليم ، فقد يكون الطفل ذكيا قوى الحفظ سريع البديهة ، فلا يستمر تعليمه بالكتاب لأكثر من أربع أو خمس سنوات ، وقد يكون دون ذلك فتطول مدة دراسته فى الكتاب لسبع أو ثمانى سنوات .

وقد تفاوت عدد التلاميذ بالكتاب تبعا لشهرة المعلم وقدرته على التعليم وتمتعه بالصلاح والتقوى ، وأن كان عدد التلاميذ قد تراوح التلاميذ ما بين ثلاثين وأربعين طفلا ، وان كان بعض المعلمين قد حرص على أن يكون العدد قليلا قدر الامكان ، واستدلوا على ذلك بأن المعلم كان إذا غاب أحد تلاميذه سأل عن أحواله ، فان لم يخبر عنه بشيئ أرسل إليه أو قصد منزله بنفسه ، وبذلك فإن المعلم لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا إذا كان عدد التلاميذ محدودا .

وكانت أوقات الدراسة بالكتاب تحدد بعلامات طبيعية فشروق الشمس كان بدء اليوم الدراسى وآذان العصر كان نهاية ذلك اليوم ، وكانت مدة التعليم فى الأسبوع تبدأ فيه من شروق شمس يوم السبت وتنتهى عصر يوم الخميس ، ويوم الجمعة كان دائما راحة ، وكان توزيع المواد الدراسية على اليوم المدرسى فى الكتاب على النحو التالى:

١ – يدرس الأطفال القرآن من أول النهار وحتى الضحى .

٢ – يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر .

٣ – ينصرف الصبيان إلى بيوتهم لتناول الغذاء ، ويعودون بعد صلاة الظهر .

٤ – يدرس بقية العلوم كالنحووالعربية والشعر والحساب مـن بعد الظهر حتى آخر النهار .

أما بالنسبة لحفظ النظام داخل الكتاب ، فقد أكد المربون المسـلمون على ضرورة ألا يغيب المعلم عن الكتـاب مـا دام الصبيـان فيـه ، لأنـه لابد لهم من راع يرعاهم بنفسه ، كما ينبغى عليه لكى يحفظ النظـام أن يـؤدب الصبيـان اذا آذى بعضهم بعضـا ، وإلا ينصـرف الطفـل عـن الكتاب لقضاء حاجات المعلم حيث أنه لا يجوز أن يستخدم المؤدب أحد الصبيان فى قضاء حوائجه وأشغاله .

– ومما تجد الاشارة اليه أن الثواب والعقاب قد أستخدم فى الكتاب فى عصور الاسلام المختلفة فقد أكد المربون المسلمون علـى ضـرورة اثابة الصبى عن كل فعل جميل ياتى به وذلك لأن مدح الصبـى واثابتـه على الأفعال الحسنة التى يأتيها يجعله يعـرف وجـه الحسـن مـن القبيـح فيختار الحسن من الأعمال ، كما أنـه يشبع لديـه الحاجـة إلـى الشـعور بالتقدير والنجاح ، وقد استند المربون فى ذلك إلـى حديـث رسـول اللـه عليه وسلم " إذا مدح المؤمن فى وجهه ربا الإيمان فـى قلبـه " غير أن هؤلاء المربون يرون أن ليس كل التلاميذيحتـاجون إلـى المـدح والثنـاء من جانب المعلمين ، فيقصرون هذا المـدح وتلـك الاثابـة علـى مـن إذا مدح تعلم علما كثيرا، كما يرون أن هـذه الاثابـة ينبغـى أن تكـون بقـدر معقول، وفى ذلك قال الامام علـى كـرم اللـه وجهـه " الثنـاء بـأكثر مـن الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق غى "

كما شغل العقاب أهتمام المربين المسلمين ، ولم يسمحوا به إلا عند الضرورة ، واكدوا على ضرورة تنوعه واختلافه تبعا لطبيعة الطفل وما بين الأطفال من فروق فردية ، فرب صبى يكفيه عبوس وجه المعلم، وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليظ والتهديد ، وثالث لا ينذجر إلا بالضرب والاهانة كل قدر حاله .

ولقد سارت خطوات استخدام العقاب فى الكتاتيب على النحو التالى:

١ – التغافل عن خطأ الصبى إذا استشعر ذنبه : بمعنى إلا يوبخ الصبى على أول خطأ ارتكبه لأن إظهار ذلك يجعله لا يبالى بالمكاشفة.

٢ – عتاب الصبى على خطئه سرا : وذلك إذا عاود إرتكاب الخطأ ، مع ضرورة الا يكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين ، حتى لا يهون عليه سماع الملامة ويسقط وقع الكلام فى قلبه .

٣ – عتاب الصبى على خطئه امام رفاقه : وذلك إذا لم يرتدع الصبى باللوم سرا ، واستمر فى ارتكاب الاخطاء ، مع ضرورة الا تشتمل كلمات عتابه على كلمات خارجة عن الآداب العامة .

والواقع أن الجهر وعتاب الصبى أمام زملائه لا يكون عقاب للصبى فحسب بل أن أثره يقع على الاطفال المشاهدين لهذه العقوبة ، ويردعهم عن ارتكاب الأخطاء .

٤ – عقوبة الضرب : ويلجأ إليها المعلم حين يستنفذ وسائل التأديب الأخرى ، مع مراعاة عدة شروط للحد من استخدامها ، واستخدامها بطريقة تحقق هدف الاصلاح وليس الانتقام والتشفى .

ونظرا لأن قضية العقاب فـى التربيـة بصفـة عامـة وتربيـة الطفل بصفة خاصة تعد من القضايا التى كانت ومـا تـزال مثـار جدل بين المفكرين والمربين ، فإن الأمر يتطلب ضرورة توضيح بعض الشروط التى وضعها المربون لتنظيم استخدام العقـاب فـى التربيـة حتـى يصبـح للعقاب دور فعال فى توجيه المخطىء وإصلاح سلوكه .

فقد اشـترط المربـون ضـرورة إلا يلجـأ المعلـم إلـى العقـاب إلا إذا فشلت طرق الإصلاح الأخرى ، وأن يكون العقاب هـو الأسلوب الذى يلجأ إليه المعلم فى نهاية المطاف ، وأن يكون العقاب على قـدر الذنـب دون إسراف ، كما طالبوا المعلم أن يتأكد من ارتكاب المعـاقب للاثـم ، وأن يكون العقاب على قدر الذنب دون إسراف ، كما طالبوا المعلـم أن يتأكد من إرتكاب المعاقب للاثم ، وأن يكون رفيقا بتلاميذه عادلا معهـم لأنه ينزل منهم منزلة الوالد ، والا يعـاقبهم وهـو غضبـان ، وأن يبـادر إلى بيان أن الدافع للعقاب هو اصلاحه وحسن تربيته ، وأن يوقفه علـى ما صدر منه بنصح وتلطف لا بتعنيف ، وتعسف ، وأن يراعى طبيعـة التلميذ المخطـئ ومستوى نموه عند عقابـه ، وأن تتنـوع وسـائله تبعـا لذلك، كما اكدوا على ضرورة أن يكون العقاب متدرجا من الأخف إلـى الأشد ، وأن يراقب آثار إستخدامه للعقاب ويعى آثاره علـى نفسـية التلميذ وسلوكه . ولذلك اكد بعض البـاحثين علـى ضـرورة أن يتجـاهل المعلم سلوك التلميذ المخطئ طالما كان هذا السلوك غير ضار وخطير، وطالما كان صاحبه غير معتاد عليه ، أو أدى الأهتمام بـه إلـى تعطيـل عملية التعليم .

أما بالنسبه للعقاب البدنى فقد اختلف المربون حول إستخدامه فمنهم من يرى أنه ضرورى ومناسب للأغراض التعليمية حيث يقول القديس اغسطين فى مدينة الله " أنـه لا تعليم بغير عقاب ، والسوط والعصا ضروريان لا خضاع الطفل وبهذه الوسائل يمكن هزيمة الجهل ، وكبح جماح الرغبات الشريرة ، التى جئنا بها إلى هذا االعـالم ، موروثـة عن آدم " ، أما دور كايم فد وقف موقفا معارضا من استخدام العقاب البدنى فـى المدارس علـى الدوام وتحت أى شرط ، مشيراً إلـى أن الهـدف الاساسى من العقاب أو التربيـة الخلقيـة أن نغرس فـى الطفل شعورا باحترام القاعدة ، والعقاب البدنى يعـارض علـى الدوام هـذه العاطفـة ، **فاحترام القاعده شئ مختلف تماما عن الخوف العقاب والرغبة فى تجنبه .**

أما المربون المسلمون فقد أباحوه فى حدود ضيقة للغايـة وصمنـوه شـروطا بالغـة الصعوبـة فـى استخدامه ، حتـى لا يلحـق بـالصبى أى ضرر، ولا يخرج الضـرب عن معنـى التـأديب ، فـالمعلم لا يلجـأ إلـى الضرب إلا بعد أن يستنفد كل وسـائل التـأديب الأخـرى ، فـإذا استحق الصبى الضرب بعد ذلك كله فلا بأس عندهم ، ولكن لا يضرب ضربـاً مبرحاً ، فى حدود ثلاث ضربـات لا يـزاد عليهـا ، حتـى يستأذن ولـى الأمر فى ذلك ، ويكفـى إلا يوافـق ولـى الأمـر أن تـزاد عقوبـه ولـده ، ليمتنع المعلم عن استخدامها معه ، فـإذا وافـق ولـى الأمـر فهنـاك قيـود تحد من أخطارها كنوع الخطأ الـذى ارتكبـه الصبـى ونـوع الألـة التـى يضـرب بهـا ، وعـدد الضربـات ، ومكانـها ، وغـير ذلـك ممـا يجعـل استخدام هذه العقوبه محدودا ومقيدا .

ومما تجدر الإشارة إليه أن على الرغم من جميع القوانين والقرارات والنشرات التى اصدرتها وزارة التربية والتعليم تحرم استخدام العقوبات البدنية بالمدارس ، إلا أن ذلك لم يمنع المعلمون من اللجؤ إلى هذه العقوبة المرذولة لتأديب التلاميذ وحفظ النظام داخل الفصل أو لحثهم على الاستذكار وتأدية الواجبات المدرسية .

٣ – المسجد :

المسجد لغة اسم لمكان السجود ، والجامع نعت للمسجد ونعت بذلك لأنه علامة الإجتماع ، أما شرعا فكل موضع من الأرض مسجد، لقوله صلى الله عليه وسلم " جعلت لى الأرض مسجدا " ولما كان السجود أشرف افعال الصلاه لقرب العبد من ربه ، اشتق إسم المكان منه فقيل مسجدً ولم يقولوا مركع .

ونظرا لا همية المساجد باعتبارها مراكز الإيمان ورموزه ، فقد حث القرآن الكريم فى كثير من أياته على تكريم المساجد والدعوة إلى تعميرها والمنع من خرابها وتعطيل العبادة فيها ، ففى بعضها جعلت عمارتها من الإيمان بالله ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الأخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ [التوبة : ١٨] . وفى بعض الأيات جعل السعى إلى خرابها إعتداء وظلم ، بل من أعظم أنواع الظلم ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها أسمه وسعى فى خرابها ﴾ [البقرة آيه : ١١٤] ، وفى آيات أخرى نسبت المساجد إلى الله تعالى

فقال ﴿ وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ [الجن آيه : ١٨]. كما حث الرسول على الذهاب إلى المساجد وتعميرها قال " من مش إلى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوه خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات ، وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات " .

ولقد كان المسجد فى صدر الاسلام هو المكان الذى يتخرج منه الفقهاء والعلماء والقادة المسلمين الصالحين فى شتى المجالات ، كان المركز الذى تدور حوله حياة المجتمع وعلى نور رسالته تسير خطى الحياة فى المجتمع ، ولذلك ارتبط تاريخ التربية الاسلامية بالمسجد إرتباطا وثيقا ، ذلك أن وظيفته لم تقتصر على الجانب الدينى وحده وأنما إمتدت لتشمل مهمة التربية ورسالة التعليم ، فدور المسجد امتد ليشمل مهام أخرى تزيد على مهمة التعليم ، وتجعل منه مؤسسة تربوية بالمعنى الشامل ذلك المعنى الذى يكاد يرادف معنى الحياة بكافة جوانبها ، فقد كان المكان الذى تذاع فيه الاخبار الهامة التى تتعلق بالصالح العام كما كان الرسول يستقبل فى المسجد الوفود التى تأتى لأغراض مختلفة كطلب معاهدة أو أعلان سلام أو طلب معونة أو غير ذلك ، فالمسجد كان اشبه بقاعة الاستقبال الرسمية ، مفتوحة ومهيأة لجميع الوافدين كما جعل النبى المسجد بمثابة مكتب للخدمة الأجتماعية وجمع التبرعات ومعونة المحتاجين ، وكانت المساجد تظل مفتوحة ليلا ونهارا إلا فى حالات قليلة ، وهى بحكم الشرع يجوز أن تكون مأوى لمن لا يجد له مسكنا وللمسافرين المتعبدين ، وكان فى ذلك ما يخفف بعض اعباء الحياة ومصاعبها .

أما بالنسبة لنظام الدراسة فكان نظام الحلقات العلمية – منذ جلس الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسجد معلما – حيث يجلس الشيخ بجانب عمود من أعمدة المسجد على خشبه صغيرة أو على كرس من جريد أو خشب ، والطلبة حوله على شكل حلقة ، بترتيب معين فلكل طبقه مكان ، فيجلس المعيدون والممتازون من الزوار على يمين الشيخ ويساره – مثلا ، والعادة أن يحرص كل فرد على أن يجلس قريبا من الشيخ ولكنه لا يتعدى المكان الذى هو أهل له .

وإذا كان أول مسجد بنى فى الإسلام هو مسجد قباء بالمدينة المنورة فإن هناك عددا من المساجد الإسلامية الكبرى كان ولا يزال لها دورا تربويا هاما ، من هذه المساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى والمسجد النبوى ، جامع عمرو بن العاص ، والجامع الأزهر ، الجامع الأموى ، مسجد الكوفة ، جامع القيروان ، جامع المنصور جامع الزيتونه ، جامع قرطبة . . . وغيرها .

٣ – المدرسة :

الثابت أن التعليم الأسلامى لم يعرف المدرسة بمعناها الفنى الاصطلاحى إلا بعد أكثر من ثلاثة قرون من ظهور الإسلام ، وذلك نظرا لنمو العلم وتطوره ، بحيث لم يعد يقتصر على العلم الدينى فقط بل امتد ليشمل آفاق أخرى جديدة كالعلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية . . وغيرها ، والتى لم يكن من المناسب تدريسها داخل المسجد ، فتعليم العلوم الطبيعية والرياضية كان يستوجب استخدام بعض الأدوات

مما لا يتوفر فى المسجد ، وكذلك تعليم العلوم الحكمية يستوجب المناظرات والمناقشات التى قد تعكر صفو الجو المحيط بالمصلين ، كما أن أحتكاك المسلمين بغيرهم من الأمم والشعوب الأخرى قد أوقفهم على أوجه تعليمية جعلتهم يفكرون فى أقامة شكل آخر لمؤسسة تعليمية كالمدرسة ، بالاضافة إلى أن أنشاء المدارس قد ارتبط بالدعاية أو الترويج لمذهب معين وهو ما ظهر واضحا فى أنشاء الأزهر بمصر أيام الدولة الفاطمية .

وإذا كان بعض المؤرخين قد روج لفكرة مؤداها أن نظام الملك الوزير السلجوقى هو أول من بنى المدارس فى العصور الإسلامية وذلك عام (٤٥٩ هـ - ١٠٦٧ م) فإن استقراء عددا من الكتابات التاريخية ومقارنتها يشير إلى وجود بعض المدارس قبل هذا التاريخ ، ولعل نسبة تأسيس المدارس إلى نظام الملك يرجع إلى شهرته الإدارية وإلى كثرة المدارس التى أسسها ، وإلى دوام كثير منها وخدمتها للدولة، فالمعروف أن نظام الملك قد بنى العديد من المدارس ، فى بغداد والموصل والبصرة ونيسابور - وغيرها ، حتى قيل أنه كان فى كل مدينة من مدن العراق وخرسان مدرسة .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه وجدت وكالات أو مؤسسات أخرى بالاضافة إلى الكتاب والمسجد والمدرسة مثل المكتبات ومؤسسات التثقيف العام كدور العلم ودكاكين الوراقين ومجالس العلم والمناظرة ومنازل العلماء وقصور الخلفاء بالاضافة إلى مؤسسات التدريب العملى

كالبيمارستانات (مستشفيات ومراكز علم) والورش ومواقع العمل والربط والزوايا والخوانق (الأسم الفارس لكلمة ربط العربية) .

رابعاً – طرق التعليم وأساليبه :

تعددت طرق وأساليب التربيه والتعليم وقد شملت الطرق التالية :

١ – طريقة الحفظ والاستظهار :

اعتبر المربين المسلمون أن تنمية القوة الحافظة هدف من أهداف التربيه فاهتموا بحفظ القرآن الكريم والاحاديث النبوية ونصوص الأدب والأمثال وغيرها ، وقد دفع هذا الإهتمام بالحفظ بعض المربين إلى البحث عن مقومات الحفظ والتماس أفضل الوسائل الصحية والنفسية لتنمية الذاكرة والمحافظة على نشاطها، ومن هؤلاء برهان الإسلام الزرنوجي الذى أفرد فصلاً فى كتابه (تعليم المتعلم طريق التعلم) تحت عنوان فصل فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان " .

وقد سادت طريقة الحفظ والاستظهار بسبب أن منهج التعليم كان يدور حول القرآن الكريم الذى أعتمد فى حفظه على التقليد والتكرار ، وفى هذه الطريقة كان المعلم يقرأ بعض الآيات ويرددها التلاميذ من خلفه آية آية حتى يتم حفظهم لها ، وهم ينظرون إلى المصاحف ، كما كان الأطفال يكتبون آيات من القرآن الكريم على الواحهم ويظل الطفل يرددها حتى يحفظها ، ثم يمسح الطفل لوحه ليكتب آيات آخرى يقوم بحفظها بنفس الطريقة حتى يتم له حفظ القرآن الكريم .

٢ - الأسوة الحسنة :

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يزال للمسلمين وللبشرية كلها خير أسوة وأفضل قدوة قال تعالى ، ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ [الأحزاب :٢١] فالتربية الإسلامية تؤكد على أهمية أسلوب القدوة الصالحة فى تنشئة الأجيال الإسلامية تنشئة سليمة يتحقق معها الخير لأنفسهم والمسلمين جميعاً ، وقديماً قال الشاعر العربى :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   وكل قرين بالمقارن يقتدى

وينشأ ناشىء الفتيات هنا   على كان عوده أبوه

وقال شاعر آخر :

يا أيها الرجل المعلم غير   هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا   كيما يصح به وأنت سقيم (*١)

٣ - تقديم الترغيب على الترهيب :

يحرص الإسلام دائما على تقديم الترغيب والثواب قبل التلميح بالترهيب والعقاب ، بل وفى ذلك نجد تدرجاً لمراحل متنوعة تتنوع وفقاً لظروف المتعلم وحالته فى الموقف التعليمى حتى يصلح حال

---

(١) انظر بقية هذه الأبيات صـ ١٦٦ ، ١٦٧ .

المتعلمين ويستفيدوا من الدروس التى يتعلمونها ، وبصفة عامة نجد أن الترغيب يسبق الترهيب قال تعالى ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ [البقرة : ١١٩] ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

٤ – التجربة الشخصية والرحلة بحثاً عن الحقيقة ودراسة الكون :

فالقرآن يحتوى على العديد من الآيات التى تحض البشر على أن يسيروا فى الأرض ويرتحلوا فى أنحائها ، ويستخدموا عقولهم وقلوبهم فى الأرض وحواسهم ليصلوا بها إلى الحقيقة ، حقيقة الوحدانية ، عبرة التاريخ ، قصة الخلق ، دراسة القوانين الطبيعية والإستفادة منها فى المعاش ، وفى التعرف على الخالق القدير وغير ذلك مما ينفعهم من العلوم المختلفة التى تفيدهم فى دنياهم وآخرتهم .

٥ – القصص وضرب المثل :

فالإسلام يدرك الميل الفطرى إلى القصة ويدرك مالها من تأثير ساحر على القلوب فيستظلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم وهو يستخدم كل أنواع القصة التاريخية ، الواقعية بإمكانها وأشخاصها وحوادثها ، والقصة الواقعية التى تعرض نموذجاً لحالة بشرية فيستوى

أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأى شخص يتمثل فيه ذلك النمـوذج ، والقصة التمثيلية التى لا تمثل واقعة بذاتها ولكنها يمكن أن تقع فـى أيـة لحظة من اللحظات وفـى أى عصـر مـن العصـور هـذا بالإضافـة إلـى ضرب الأمثال .

من النوع الأول كل قصص الأنبياء وقصص المكذبين بالرسـالات ومـا أصـابهم مـن جـراء هـذا التكذيـب وهـى قصـص تذكـر بأسـماءها وأشـخاصها وإمكانهـا وأحداثهـا علـى وجـه التحديـد والحصـر ، موسـى وفرعون ، صالح وثمود ... وغيرها .

ومن النوع الثانى قصة آدم ﴿ واتل عليهم نبأ ابنـى آدم بـالحق إذ قربـاً قربانـاً فتقبـل مـن أحدهمـا ولـم يتقبـل مـن الأخـر ... فـأصبح مـن الخاسرين ﴾ [المائدة : ٢٧ ، ٣٠] .

ومن هذا النوع أيضاً قصة صاحب الجنتين ﴿ واضـرب لهـم مثـلاً رجليـن جعلنـا لأحدهمـا جنتيـن مـن اعنـاب ... ومـا كـان منتصـراً ﴾ الكهف: [٣٢ ، ٤٣].

وكذلك ضرب الأمثال العملية لبيان الحقيقة من خلال أمثلـة عمليـة قريبة إلى الفهم ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقـدر علـى شئ وهو كل على مولاه ، أينما يوجهه لا يأت بخـير هـل يسـتوى هـو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾ [النحـل : ٧٦] ، وذلـك

للتفرقة بين المؤمن القادر على السير على نهج مستقيم ، والكافر الذى يعيش عالة على غيره .

٦ - التكرار مع التلوين :

وتتمثل هذه الطريقة فى التعبير عن معنى أو قضية معينة بعبارات متعدده واثباتها بوجوه متعدده ، إذ فى هذا التكرار وتغير الأسانيد والحجج ما يدفع العقلاء إلى إزالة الشك والإيمان بالحقيقة وليس أدل على ما سبق من الاساليب الثرية التى استخدمها القرآن فى الوحدانية وعرضه لها بوجوه متعدده وتكرار عرضها حتى لا يكون لأحد فرصة فى عدم الفهم .

المعلمون :

إتضح مما سبق أن التعليم كان عملاً دينياً يستوحى دافعه من قوله تعالى ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة : ١٢٢] واستجابه فورية لهذه الدعوة بادر عدد من الصحابة الذين تفقهوا فى الدين فانتشروا فى الأرض ليبصروا الناس بأمور دينهم .

ولم يكن غير الرسول معلماً لهؤلاء الاخيار من الصحابة ، وهو ماأكده رب العزه فقال تعالى ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولاً يتلو

عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ [الجمعة : ٢] ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه ﴿ إنما بعثت معلماً ﴾ حيث كان الرسول يقرأ على أصحابه ما نزل من الوحى ليحفظوه ويعملون به ، ويشرح لهم معانى الكلمات القليلة التى لم يفهموها ، ويلقنهم أصول العقيدة ، وآداب الإسلام ويقودهم بالممارسة العملية إلى أداء الشعائر المفروضة ففى الصلاة يقول ﴿ صلوا كما رأيتمونى أصلى ﴾ وفى الحج يقول ﴿ خذوا عنى مناسككم ﴾ .

ولقد اتبع مبعوثو الرسول إلى البلدان المختلفة نهجه فى الدين ، يقول النبى لمصعب بن عمير عندما أوفده إلى يثرب قبل الهجرة لتعليم أهلها من الأوس والخزرج ﴿ اقرئهم القرآن وعلمهم الإسلام وامهم فى الصلاة ﴾ ، وقال بمثل ذلك لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه عندما أرسله إلى اليمن ، ولمعاذ بن جبل عندما أبقاه بمكة بعد فتحها ، ولأبى عبيدة بن الجراح عندما بعث به إلى نجران ، وقد سار الخلفاء الراشدين فى هذا الطريق عندما أرسلوا القراء والفقهاء والقضاه إلى الأمصار .

والواقع أن التعليم النبوى كان ذا طبيعة دينية خالصة أما ما كان يختص بحياة الناس من أعمال وصناعات فقد كان خارجاً عن دائرة هذا التعليم وفى هذا المعنى يقول الرسول لأصحابه " أنتم أعلم بشئون

دنياكم " كما يرى الإمام محمد عبده أنه " ليس من وظائف الرسل ما هو عمل المدرسين ومعلمى الصناعات " .

وقد أدى التوسع فى الفتوح الإسلامية شرقاً وغرباً وانتشار الدين شمالاً وشرقاً وزيادة الإقبال على تعلمه ومعزفة احكامه وإتقان لغته ، وكثرة صنوف المتعلمين ، إلى ظهور عناصر بارزة منهم كونت طبقة من المعلمين المحترفين ، كان أكثرهم من الموالى واهل الذمة ، لم يتحرجوا أن يأخذوا أجراً على تعليمهم بل جعلوا من التعليم وظيفة مربحة ، وقد انتشروا فى المساجد حتى كانت تعج بالعشرات منهم كل فى موضع إختصاصه وهو ما يعد بداية مرحلة الإحتراف ، وإن كان إحتراف التعليم فى مجال تعليم الصغار أسبق بكثير من احتراف التعليم العالى الموجه إلى الكبار ، فلقد كان التعليم بالكتاب ظاهرة مألوفة فى المجتمع الإسلامى بالمدينة منذ عصر مبكر ، ولم يكد ينقضى القرن الأول الهجرى حتى كانت الكتاكيت خلايا منتشرة فى البقاع الإسلامية تقدم خدماتها التعليمية التى أصبحت ضرورة حياة ، حتى أن ابن مسعود قال " لابد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً ولولا ذلك لكان الناس أميين " .

وقد أصبح تعليم الصغار صناعة ينهض بها نفر من المحترفين أو المخصصين وقد كونوا ثلاث جماعات متميزة من حيث الحجم الكمى

والمركز المهنى ، ومستوى الثقافة العلمية هم المؤدبون ، ومعلموا القصور والبيوت ، ومعلموا الكتاتيب ، وقد كون معلموا الكتاتيب الأغلبية الساحقة الذين على أيدهم إنتشر تعليم الصغار ، ولم يكن معلم الكتاب يعد إعداداً مهنياً بل كان يتلقى معلوماته التى كان يعتقد انها ضرورية لممارسة مهنة التعليم عن طريق إتصاله بالشيوخ ، كما لم تكن ثقافته غزيرة إذا لم يتزود من العلم إلا بالقليل حيث لا يحتاج فى عمله فى الكتاب إلا إلى حفظ القرآن الكريم والإلمام ببعض النحو فمن حصل ذلك ووجد فى نفسه القدرة على القيام بتعليم الصبيان قام بذلك من تلقاء نفسه حيث لم يكن هناك من القوانين أو القواعد او اللوائح ما يقتضى حصول المعلم على إجازة للقيام بهذا العمل ، ويبدو أن المجتمع الإسلامى فى غالبيته كان ينظر للغالبية العظمى من معلمى الكتاتيب نظرة لا تتسم بالتقدير والإحترام فى أغلب العصور الإسلامية رغم تقدير الإسلام للعلم والتعليم ورغم عناية المجتمع بالمعلم وبمهنة التعليم.

- مراجع الفصل الرابع -

١ - أحمد شلبى : **تاريخ التربية الإسلامية** - النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٦٦ .

٢- احمد عمر هاشم : الطفوله فى الإسلام - **بحوث مؤتمر الطفولة فى الإسلام** - المجلد الأول - كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر - ١٩٩٠ .

٣ - جمال على الدهشان : العقاب المدرسى - دراسة لاراء معلمى التعليم الثانوى بمحافظة المنوفية - **بحوث مؤتمر التعليم الثانوى الحاضر والمستقبل** - كلية البنات - جامعة عين شمس - ١٩٩١ .

٤ - زغلول راغب النجار : **أزمة التعليم المعاصرة وحلولها الإسلامية** - المعهد العالى للفكر الإسلامى - مكة المكرمة - ١٩٩٠ م .

٥- سعيد إسماعيل على : **دراسات فى التربية الإسلامية** - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٢ م .

٦ - ________ : **تاريخ التربية والتعليم فى مصر** - عالم الكتب القاهرة - ١٩٨٥ م.

٧ - ـــــــــــ : **معاهد التربية الإسلامية** - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٦ م .

٨ - فتحية عمر رفاعى الحلوانى : **دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة فى ضوء الإسلام** - تهامة - جدة ١٩٨٣

٩ - عبد الستار أبو غدة : رعاية المعوقين فى الإسلام - **المسلم المعاصر** - العدد ٣٤١ بيروت- فبراير ١٩٨٣ م .

١٠ - عبد الفتاح جلال : **من الأصول التربوية فى الإسلام** - المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى سرس الليان ١٩٧٧ م .

١١ - عبد الغنى عبود : **فى التربية الإسلامية** - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٧٧ م .

١٢ - عبد الغنى عبود : **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٧٨ م .

١٣ - ـــــــــــ : فلسفة التعليم الإبتدائى وتطبيقاته - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٢ م .

١٤ – عرفات عبد العزيز سليمان : **المعلم والتربية . دراسة تحليلية مقارنة لطبيعة المهنه** – مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة – ١٩٧٧ م .

١٥ – محمد قطب : منهج التربية الإسلامية – دار القلم – القاهرة – د . ت .

١٦ – محمد منير مرسى : **أصول التربية** – عالم الكتب – القاهرة ١٩٨٤ م .

١٧ – محمود قمبر : مهنة التعليم فى التراث العربى وإنعكاساتها فى التعليم المعاصر – **مؤتمر إعداد وتدريب المعلم العربى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** القاهرة ١٩٧٣ م .

١٨ – محمد أحمد شوق : أهم أسس تربية الطفل تربية إسلامية وتطبيقاتها ـ **بحوث مؤتمر الطفولة فى الإسلام – المجلد الأول** – كلية الدراسات الإنسانية – جامعة الأزهر – ١٩٩٠ .

١٩ – محمد على محجوب : **الأسرة وأحكامها فى الشريعة الإسلامية** – دار الحرية – القاهرة – ١٩٩٣ .

مطبعة دار الكتب الجامعية الحديثة
شبين الكوم ٢١٠٣٥٦ / ٠٤٨